

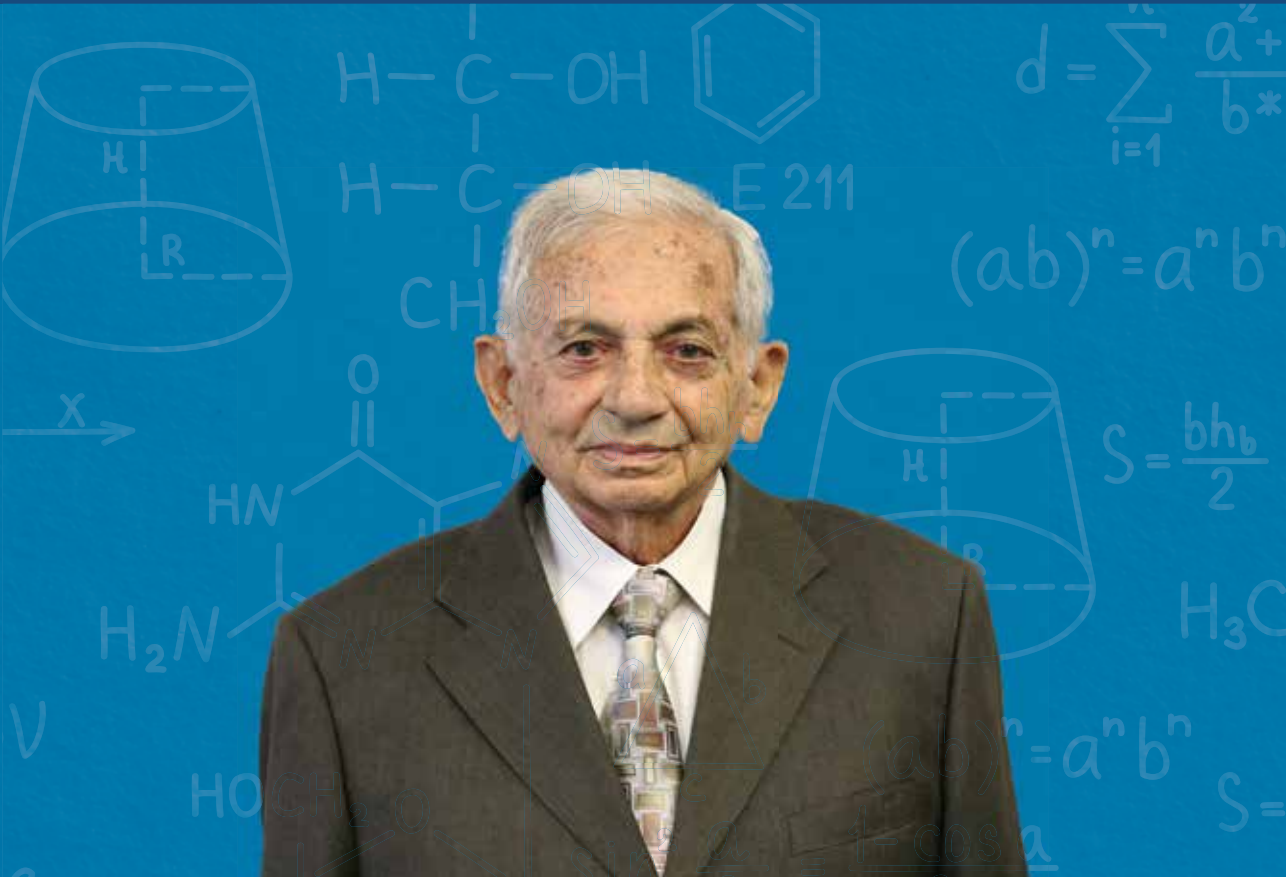


البنك العربي
ARAB BANK



مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK

موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً



تقديم: أ. د. نبيل أيوب

موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً

موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً

إعداد: مؤسسة عبد الحميد شومان.

تقديم: أ.د. نبيل أيوب

الطبعة الأولى 2024.

© حقوق الطبع محفوظة.



البنك العربي
ARAB BANK



مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK

مؤسسة عبد الحميد شومان،
ذراع البنك العربي للمسؤولية الثقافية والاجتماعية

مؤسسة عبد الحميد شومان

هاتف: +962 6 4633372 +962 6 463362

فاكس: +962 6 4633565

ص.ب: 940255 عمان، 11194 الأردن

AHSF@shoman.org.jo

shomanfdn

www.shoman.org



الأهلية للنشر والتوزيع e-mail: alahlia@nets.jo

الفرع الأول (التوزيع): المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، وسط البلد، بناية 12

هاتف 00962 6 4638688، فاكس 00962 6 4657445

ص.ب: 7855 عمان 11118، الأردن

AlAhliaBookstore/ @alahlia_bookstore/ 00962775544710/ alahliabookstore@gmail.com

الفرع الثاني (المكتبة): عمان، وسط البلد، شارع الملك حسين، بناية 34

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب: موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً

إعداد: مؤسسة عبد الحميد شومان (الأردن)

بيانات النشر: عمان: مؤسسة عبد الحميد شومان، 2024

الوصف المادي: 173 صفحة

رقم التصنيف: 925.4

الواصفات: الكيمياءيون//التعليم العالي//الأردن/

الطبعة: الطبعة الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنّفه ولا يعبر هذا المصنّف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الأردنية: (2024/6/3670)

ردمك: ISBN 978-9957-19-088-0

موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً

تقديم: أ. د. نبيل أيوب

موسى الناظر؛ أكاديمياً وإنساناً

المشاركون في الكتاب

(وفق ترتيب المداخلات)

أ. د. نبيل أيوب

- | | |
|-------------------------|-----------------------|
| أ. د. عدنان بدران | أ. د. كامل العجلوني |
| د. منذر حدادين | أ. د. علي محافظة |
| أ. د. محمد عدنان البخيت | أ. د. سلطان أبو عرابي |
| أ. د. رنا الدجاني | أ. د. سليم صبري |
| أ. د. أمل العابودي | أ. د. تمارا الزمر |
| أ. د. إسراء خلف | أ. د. فتحي ملكاوي |
| أ. د. أحمد ماضي | أ. د. محمد شاهين |
| د. محمد البيطار | د. حسين صالح علي |
| أ. د. حكم النابلسي | أ. د. راشد عيسى |
| أ. فدوى الناظر | أ. د. موسى الناظر |

رؤساء الجلسات

(وفق ترتيب المداخلات)

- | | |
|-------------------|--------------------|
| أ. د. عماد الضمور | أ. د. محمد السعودي |
| أ. د. نبيل أيوب | د. عمر الغول |
- أ. محمد جميعان

سيرة عالم زاهد

أ. د. نبيل أيوب⁽¹⁾

«خير ما يتعلّمه الإنسان هو ما يعلمه، والعالم الفاهم لعلمه هو من ينجح في إفهامه للآخرين». هي فلسفة اتبعها العالم الأستاذ الدكتور موسى الناظر. إنّ الأستاذ الدكتور موسى الناظر أهّل للتكريم والاحتراف، وما من مؤسسة أفضل لترعى هذا التكريم من مؤسسة عبد الحميد شومان التي دأبت على تكريم العلماء والأدباء والفنانين في جميع الحقول والتخصصات منذ عقود خلت، وما زالت تسير على هذه الخطى بكل ثبات واقتدار.

من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ولذلك فمن اللازم علينا تقديم خالص الشكر وعظيم الامتنان للمديرة التنفيذية فالتينا قسيسية وفريق عملها على عملهم الدؤوب دون كلل أو ملل لتنمية روح الإبداع والابتكار والريادة في المجالات العلمية في الأردن والعالم العربي.

يطلعنا هذا الكتاب على حياة عالم إنسان شغوف بعلمه وبمحيطه، يفيض بالمحبة والودّ لطلبته ولوطنه وأمه، ويعرض الأستاذ الدكتور موسى الناظر في عيون شخصيات اتخذت من العلم والإبداع والابتكار ديدناً لها، فضلاً عن أنها لامست جانباً أو أكثر من حياته.

(1) أستاذ دكتور في الفيزياء/ الجامعة الألمانية الأردنية، رئيس سابق للجامعة الأمريكية في مادبا.

يجتمع في هذا الكتاب نخبةً من الأكاديميين الذين خدموا في مجالات مختلفة في الأردن، فمنهم من عمل في الحكومة الأردنية، ومنهم من عمل في قطاع التربية والتعليم، ومنهم من عمل في مجال التعليم العالي والبحث العلمي، وآخرون منهم عمل في قطاع الصناعة. وقد أجمع المتحدثون على مناقب الأستاذ الدكتور موسى وما أكثرها! ومن أبرزها - على سبيل الذكر لا الحصر - أورد المتحدثون زهد الدكتور موسى في المناصب.

تخرّج الدكتور المُحتَفَى به في أعرق جامعات العالم وأرقاها - ألا وهي جامعة هارفرد - في وقت كان خريجو هذه الجامعة نادرة في العالم العربي ولا سيما في الأردن. وقد انكبَّ على التفرغ لبناء وتأسيس قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، وكلما سنحت له الفرص كان يمضيها في البحث العلمي من خلال الزيارات إلى الجامعة الأميركية في بيروت؛ للقيام بأبحاث ذات قيمة مضافة في مجال الكيمياء العضوية الحيوية. فضلاً عن أنه لم يكتثر بالكثير من العروض كي يتقلّد أرفع المناصب الأكاديمية والإدارية في الجامعة الأردنية وفي الجامعات العربية المختلفة.

لقد أحب وطنه الأردن وفلسطين؛ إذ أسهم في أي لجنة أنيط بها بشكل فعّال وبإضافات ذات طابع علمي مؤثر وفيها الكثير من الإبداع والابتكار. فنراه أسهم في الإشراف والتحرير والتأليف للكتب ذات الطابع العلمي، لا سيما وأنه يؤمن بأن التعبير الدقيق العلميّ هو الأساس في نقل الحقيقة مهما كان الموضوع.

وأما فيما يتعلق بفلسفته في التعلم والتعليم، فإنها تتجسّد في الاقتباسات التالية للمتحدثين الأجلّاء:

- «لم يكن يلقننا بل كان يعلمنا كيف نتعلم، يتكرر المشهد يومياً؛ نسأل ويجيبنا وهو يمشي إلى مكتبه، حيث نقضي وقتاً قد يطول ونخرج في كل مرة بمعلومات واسعة وأسئلة أكثر».

• «كنزكم في عقلكم، قيمته فيما ينجزه وليس فيما يخترنه. امنحوه حرية الانطلاق! دعوه يمارس ما يستطيع، وظّفوه فيما ينفعكم وينفع غيركم».

• «مَنْ يُعَلِّمُ دُونَ أَنْ يَتَعَلَّمَ فَهُوَ فَاشِلٌ».

• «كانت الأسئلة تبنى بطريقة ذكية، لتقيس مهارة محددة لدى الطالب، ولا تعتمد على الحفظ فقط، بل كانت من نمط الاختبارات التي تحكّ دماغك ليمارس مهارات التفكير المتوسطة والعليا، وأُعترفُ أنّ في حلّها لذة خاصة».

إنّ فهمه للكينونة البشرية بعمق انعكس على جميع مناحي حياته. فنجد فهمه حاضرًا في التعاطي مع زملائه، ومع طلبته، ومع كل من حوله. وتعكس طبيعته الهادئة ثقة بالنفس وتعكس عشقه للطبيعة ولكل الأشياء الجميلة من حوله.

الأستاذ الدكتور موسى الناظر قلّ نظيره في عالمنا اليوم؛ لأن أكثر الناس يسعون وراء الشهرة والمال والنفوذ، أما هو فقد آثر أن يمضي وقته في تعليم الطلبة طرق التفكير المنطقي والعلمي السليم، وأن يسهم في إضاءة شموع في قلوب طلبته لكي يمحروا عباب الحياة بثقة وبلذة التفكير والإبداع والابتكار. كل المحبة والتقدير للأستاذ الدكتور موسى الناظر، ومع أمنياتنا له بالعمر المديد وبدوام الصحة والعافية.

موسى الناظر ... كما عرفته

أ. د. عدنان بدران⁽¹⁾

تَعَرَّفْتُ عَلَى الْأُسْتَاذِ الدُّكْتُورِ مُوسَى النَّاطِرِ فِي عَامِ 1966 عِنْدَمَا اِتَّحَقْتُ بِكُلِّيَّةِ الْعُلُومِ كَأُسْتَاذٍ مُسَاعِدٍ عَائِدٍ مِنَ الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ، وَكَانَ آنَذَاكَ مُوسَى رَئِيسًا لِقِسْمِ الْكِيمِيَاءِ، بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ جَامِعَةِ هَارْفَرْدِ فِي الْوِلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ حَامِلًا دَرَجَةَ الدِكْتَوْرَاهِ فِي الْكِيمِيَاءِ الْعُضْوِيَّةِ عَامَ 1965، وَكَانَتْ كُلِّيَّةُ الْعُلُومِ آنَذَاكَ فِي بَدَايَةِ تَأْسِيسِهَا مَعَ كُلِّيَّةِ أُخْرَى هِيَ الْاِقْتِصَادُ وَالتَّجَارَةُ، الْكُلِّيَّتَانِ الْجَدِيدَتَانِ اللَّتَانِ أُضِيفَتَا لِكُلِّيَّةِ الْاَدَابِ الَّتِي تَأَسَّسَتْ مَعَ تَأْسِيسِ الْجَامِعَةِ الْاُرْدُنِيَّةِ عَامَ 1962.

وَكَانَتْ كُلِّيَّةُ الْعُلُومِ تُضَمُّ اَفْسَامًا اَرْبَعَةً، الْفِيزِيَاءِ، وَالْكِيمِيَاءِ، وَالْبِيُولُوجِيَا، وَالرِّيَاضِيَّاتِ، وَتُضَمُّ حَمْسَةً مِنْ اَعْضَاءِ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ، وَكُنْتُ اَنَا سَادِسُهُمْ. لَقَدْ بَدَأَتْ كُلِّيَّةُ الْعُلُومِ بِقُوَّةٍ عِلْمِيَّةٍ مُعَاصِرَةٍ لِكِفَايَةِ اَعْضَاءِ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ فِيهَا، اِذْ كَانُوا مِنْ خَرِيْجِي اَفْضَلِ الْجَامِعَاتِ الْاَمْرِيْكِيَّةِ وَالْبَرِيْطَانِيَّةِ وَالْاَلْمَانِيَّةِ. وَكَانَ اَعْضَاءُ هَيْئَةِ التَّدْرِيسِ يُشَكِّلُونَ اُسْرَةً مُتَّحَابَةً وَعِلْمِيَّةً تَقُومُ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْوِفَاقِ وَالتَّعَاوُنِ التَّامِّ، وَتَعْمَلُ لَيْلًا نَهَارًا فِي تَأْسِيسِ كُلِّيَّةِ الْعُلُومِ، بِحَيْثُ تَقُومُ عَلَى الْجَوَدَةِ وَالنَّوْعِيَّةِ فِي التَّدْرِيسِ، وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ، وَخِدْمَةِ الْقَطَاعَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ الْاُرْدُنِيَّةِ.

تَوَلَّى الدِكْتَوْرُ مُوسَى بِكُلِّ هِمَّةٍ وَنَشَاطٍ تَأْسِيسَ قِسْمِ الْكِيمِيَاءِ وَاِدارَتِهِ

(1) حاصل على دكتوراه في العلوم من جامعة ميشغان في الولايات المتحدة عام 1963، شغل مناصب مهمة عديدة منها رئاسة عدة جامعات أردنية، ورئاسة الوزراء في الأردن.

والإشراف على تدريس الطلبة، ومن خلال إتصاله الشخصية حصلت الجامعة على تبرع سخّي من مضافة البترول الأردنية بإنشاء المبنى الذي شكّل معمارياً حرف «L» يضم المختبرات والقاعات التدريسية، ومدّراً عاماً، وقاعات الندوات، والمكاتب الإدارية، ومختبرات البحث العلمي. وقامت اليونسكو UNESCO آنذاك، ومن خلال تمويل سخّي من وكالة الإنماء الدولية (UNDP) بتجهيز المختبرات بأحدث الأجهزة العلمية، وتم دعم كلية العلوم بثلاثة من أعضاء هيئة التدريس والباحثين على مستوى متقدم من الخارج، مما أتاح الفرصة أمام «موسى الناظر» مع زملائه بالتوسع في بناء الكيمياء وإضافة شكل لمبنى معماري آخر «L» معاكس للأول من خلال تبرع آخر من مضافة البترول الأردنية، وبذلك انتقل المبنى إلى شكله الرباعيّ المستطيل الحالي، يضم مختبرات تدريسية وبحثية، وخاصة أن قسم الكيمياء كان قد باشر بالدراسات العليا فيها لدرجة الماجستير. وتبع ذلك تجديد تمويل وكالة الإنماء الدوليّ لخمس سنوات أخرى بإشراف اليونسكو، في توفير البعثات من المميزين من خريجها للخارج لدرجة الدكتوراه لتأمين ما تحتاجه الكلية من أعضاء هيئة تدريس، بالإضافة إلى استقطاب أعضاء هيئة تدريس من الأجانب بمستوى عالميّ لدعم الأقسام بالجودة والخبرة. واستمر «موسى» بلا ملل في تأسيس قسم الكيمياء على أحدث المعايير العالمية.

تفرغ الدكتور «الناظر» مضمار العمل الأكاديمي في قسم الكيمياء منذ بداية فجر تأسيس كلية العلوم، وحتى تقاعده على مدى أربعين عاماً. وكان يعتبره الطلبة والأساتذة الأب الروحي للكيمياء العضوية الأردنية تدريساً وبحثاً وإدارة، قدره واحترمه الجميع لإخلاصه وانتمائه اللامتناهي للمهنة الأكاديمية التي عشقها منذ صغره.

تلقى الدكتور موسى الناظر، عُروفاً لمناصب إدارية عديدة من عمادات ورياسة جامعات ورفضها جميعاً، مركزاً على أستاذيته في الكيمياء، الذي تفرغ لها تفرغاً كاملاً.

هذا هو موسى الناظر العالم الكيميائي، والذي حاز على جائزة شومان،
ووسام الحسين للعطاء المميز من الدرجة الأولى تقديراً لخدماته الجليلة في
التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع. وتقديراً لخدماته، قامت الجامعة
الأردنية بإطلاق اسمه على إحدى قاعات كلية العلوم. وانتخبه مجمع اللغة العربية
عضواً عاملاً فيه.

أسهم «موسى» أيضاً في بناء مناهج وزارة التربية والتعليم في الكيمياء، إذ
ترأس الفريق الوطني لتحديث مناهج الكيمياء، وأدخل الكيمياء الحديثة، وشارك
في تأليف كتب المرحلة الثانوية، كما شارك في تأليف أدلة المعلمين وتدريبهم في
كلية العلوم بالجامعة الأردنية على أساليب تدريس المناهج الجديدة، كما ساهم
في بناء برنامج دبلوم في تدريس العلوم التي قامت كلية العلوم في إعداده لتأهيل
وتدريب المعلمين في العلوم والرياضيات في حرمها الجامعي وخلال الفصول
الصيفية.

عمل الدكتور موسى على قضاء إجازات تفرغه العلمي في قسم الكيمياء
بالجامعة الأمريكية ببيروت، وشارك مع زميله المرحوم العالم الأردني مخلوف
حدادين في إجراء بحوث «كيمياء الحلقات غير المتجانسة» وللدكتور موسى احترام
وتقدير خاص من الجامعة الأمريكية، إذ كان مبتعثاً لها من وزارة التربية والتعليم
الأردنية لتفوقه في الدراسة الثانوية، فحصل من الأمريكية على درجة البكالوريوس
عام 1958، ودرجة الماجستير عام 1960 في الكيمياء قبل التحاقه بجامعة هارفرد.

تميز الدكتور موسى بتواضعه واحترام الآخرين، ودماثة خلقه، وحبّه لطلابه
وزملائه، فأحبه طلبته وزملاؤه، وحافظوا جميعاً على تقديره وإجلاله «كمعلم
صديق ومخلص».

وحول تعليم العلوم، يقول الدكتور موسى: «إنها الحلقة المفقودة في
بناء الذات وعلى أساس المنهجية العلمية الموضوعية في التفكير النقدي، وبناء

المهارات، ورَفِدِ الوَطَنِ بِالْعُلَمَاءِ الْمُتَمَيِّزِينَ. فَالْأَمَلُ ضَعِيفٌ فِي بِنَاءِ مُسْتَقْبَلِ قَائِمٍ عَلَى إِنتَاجِ المَعْرِفَةِ، مَا لَمْ تُوضَعِ إِسْتِرَاطِيَجِيَّةٌ دَائِمَةٌ، بِإِحْتِضَانِ المُمَيِّزِينَ وَابْتِعَائِهِمْ إِلَى جَامِعَاتٍ مُمَيَّزَةٍ لِلدكتوراه، لِرَفْدِ الوَطَنِ بِعُلَمَاءٍ يَبْنُونَ مُسْتَقْبَلًا بَاهِرًا لِلْأَجْيَالِ القَادِمَةِ». وَيَقُولُ الدكتورُ مُوسَى فِي مُعَالَجَتِهِ لِلْفَلَسَفَةِ: «تَشَكُّلُ الفَلَسَفَةِ مَجَالٌ حَيَاةٍ، العَقْلُ يَقُودُهَا وَالفَلَسَفَةُ وَقُودُهَا، وَالحَرِيَّةُ مَطْلَبُهَا، وَالفَلَسَفَةُ حَقٌّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، صِغَارُنَا قَبْلَ كِبَارِنَا، لَهُمُ الحَقُّ أَنْ يَعْيشُوا حَيَاةً يَحْكُمُهَا المَنْطِقُ وَيَحْمِيهَا، فَالْمَنْطِقُ هُوَ شَبَكَةٌ الأَمَانِ لِلْإِنْسَانِ».

أَعْتَزُّ بِصِدَاقَتِي وَزِمَالَتِي مَعَ الدكتورِ مُوسَى عَلَى مَدَى نِصْفِ قَرْنٍ، فَلَقَدْ نَعَلَّمْتُ مِنْهُ الكَثِيرَ، بِجِيرَتِهِ، فَمَازَلْنَا مُتَجَاوِرِينَ، وَأَحْمِلُ كُلَّ مَوَدَّةٍ وَمَحَبَّةٍ، لِلجَارِ الغَالِي فِي حَيِّ الجَامِعَةِ الأُرْدُنِيَّةِ.

الدكتور موسى الناظر الأكاديمي المتميز والباني الذي لا يكل ولا يمل

أ. د. كامل العجلوني⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

والحمد لله رب العالمين القائل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ [سورة
الأحزاب]، والقائل:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
(190)﴾ [سورة البقرة].

لا بد أن نبدأ في هذه الأيام في كل يوم وكل ساعة بذكر غزوة، ولا نقف على
الترحم على شهدائها وقراءة الفاتحة، بل يجب أن نحیی أهلها المقاوم الذي تحمّل
ما لم يتحمّله شعب في تاريخ البشرية، ونشدّ على أيديهم بالعمل والتضحية بالمال
والنفس، ونقول غزوة لا تنزف دمًا بل نقول هي تتبرع بالدم لأنه لم يبق عندها دم.

(1) طبيب أردني عمل كوزير صحة ما بين 1984-1985 وعضو مجلس أعيان سابق، يشغل
حاليا منصب الرئيس للمركز الوطني للسكري والغدد الصم والوراثة الأردني.

ولد الدكتور موسى في مدينة الخليل، مدينة العز والصمود، في تاريخ 15-10-1936م، وهذه المدينة عزيزة عليّ فلي معها انتساب ونسب وصهر؛ فقد درست نصف المرحلة الابتدائية في المدرسة المحمدية، ولنا فيها نسبٌ من آل الشعراوي أبو غربية وعائلة مرقة. ولقد انحدر د. موسى من أسرة مميزة اتخذت العلم قاعدة لها؛ فوالده رحمه الله زهدي موسى الناظر من أوائل الذين تخرجوا من الكلية العربية في القدس، وتابع تعليمه العالي في بيروت، وعمل بعدها موظفاً في دائرة المالية الفلسطينية في الخليل، مرسخاً بذلك دعائم العلم والمعرفة والاجتهاد طريقاً ليمشي على خُطاه الدكتور موسى الذي أنار هذا الطريق.

ولموسى مع أبيه قصة؛ فقد أراد أن يشتري حصاناً وذلك بعد عثوره على حدود فرس، فوعده أبوه بتلبية طلبه عندما تكتمل الحدودات الأربع، وذات يوم أصرّ موسى على أبيه الذي لم يكن يرد له طلباً فوعده بإحضار الحصان غداً، ولم ينم موسى تلك الليلة بانتظار غد تتحقق فيه الأحلام. ويقول موسى في ذلك اليوم عاد والذي دون رفقة حصان، وقبل أن تأخذ الصدمة مني مأخذاً استل من جيبه قلماً وقدمه لي قائلاً: هذا حصانك فامتطيه، غمرتني فرحة ليست بأقل مما لو أمسكني مقود حصان.

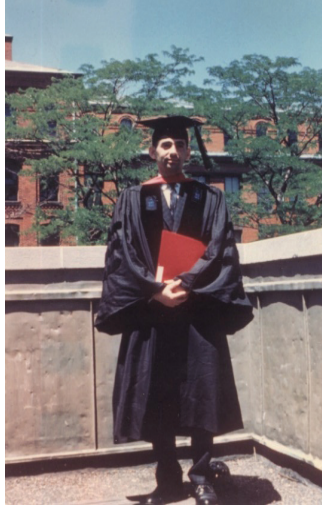


مع والدته في الجامعة الأمريكية في بيروت - تخرّيج الماجستير

أثرت هذه القصة في تكوين موسى النفسي والعقلي وكان دوماً ينقلها إلى طلابه فيقول: «أقدم لكم ثلة من خيول فامتطوا الأصيل منها متجاوزين التلال وصولاً إلى قمم الجبال دون كلل أو ملل»، هذا هو د. موسى الذي رفض مدير المعارف في بداية الدراسة إدخاله المدرسة متذرعاً بصغر سنه، ولكن موسى وأمام إصراره قبل بعد شهرين من بدء الدراسة، وكان مدير المعارف يتوقع له الرسوب فيحقق غايته برسوبه، ولكن موسى الراكب لأقوى حصان (القلم) استطاع النجاح بتفوق، فكانت أول معركة يقهر بها ممثل الاستعمار البريطاني.

ولقد ابتلي موسى بالتهاب الملتهمة (التراخوما) التي رافقته سنين طويلة، وكان ذلك عبئاً صحياً كبيراً كاد أن يؤثر على مستقبله طفلاً ويافعاً، ولكن إصرار موسى علمياً تغلب على هذا الابتلاء فلم يعقه عن التميز والإبداع. وبعد وفاة والده استمر موسى مسيرته جاداً ومجتهداً، فحمل رسالة العلم منذ صغره وتميز في دراسته فكانت أولى خطوات العلم حصوله على شهادة المترك بتميز وامتياز عام 1954م من مدرسة الحسين بن علي الثانوية، حصل بعدها على بعثة للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت، ليتخرج بعدها حاصلاً على درجة البكالوريوس بالعلوم عام 1958م، وكان التصميم هنا على متابعة الاستسقاء من بحور العلم رغم الصعوبات التي كانت تواجهه آنذاك فعمل ليُكمل دراسة الماجستير عام 1960م.

ومن ثم الحصول على شهادة الدكتوراه في الكيمياء العضوية من جامعة هارفرد، ليُسجل في قائمة التاريخ عالماً سُقي من بحور العلم ليسقي آلاف الطلبة بما يُغذي العقول، لينني بذلك صروحا ومناورات علمية فعاد إلى الوطن عام 1964م ليلتحق بالعمل في الجامعة الأردنية، فأسس قسم الكيمياء ليكون هذا القسم دعامة متميزة من دعائم التعلم.



استلام شهادة الدكتوراة من جامعة هارفرد

ولكثرة المتحدثين لا أريد أن أتكلم عن دوره في تأسيس كلية العلوم؛ لأن الآخرين سيتحدثون عن ذلك ولكن سأحدث عن دوره المهم في تأسيس كلية الطب:

كان ذلك في عهد رئاسة دولة الدكتور عبد السلام المجالي في مطلع السبعينيات من القرن الماضي، اتخذ القرار بتأسيس كلية الطب وأن يقبل طلبة بنية التخصص في الطب في العام 1972م، لم يكن يتوفر آنذاك شيء من مقومات دراسة الطب؛ لا مبنى، ولا أعضاء هيئة تدريس، ولا مختبرات، ولا هيئة إدارية، وكثير من اللالات، كان هنالك قائمة بالطلبة المقبولين المتفوقين وأساتذة قلائل قبلوا هذا التحدي.

مثّل هذا الوضع استراتيجية متأصلة لدى رئيس الجامعة آنذاك «نخلق القضية ثم نعالجها»، لم يكن هذا سلوكاً عشوائياً، بل كان ينبع من قناعة بإمكانية النجاح اعتماداً على ما هو كامن في قدرات من يتولون التنفيذ، وعلى دعمه لهم بكل ما يتوفر لديه «نقرر ثم نتدبر».

وُضع أمر التأسيس للكلية في أحضان أقسام كلية العلوم، حيث التحق الطلبة المقبولون بنية التخصص في الطب بالجامعة كطلبة لكلية العلوم لمدة سنتين، وكان معظم أعضاء مجلس كلية الطب الأول هم من كلية العلوم.

ليس في كل هذه الأمور ما هو غير عادي أو مثير، فما هو الشأن والموقف التأسيسي الذي يخص الكيمياء وتأسيسها وعلاقة المجتمع بذلك، لأجل ذلك أود استحضار الموقف التالي لأجل دلالته الإيجابية.

تحسبا لما تتطلبه دراسة الطب من مسافات عديدة في الكيمياء وللزيادة الكبيرة في أعداد الطلبة، وصعوبة تأمين حاجتهم في المسافات العملية التي تحتاج إلى متسع من المختبرات، عمل الدكتور موسى الناظر مع زملائه على إعداد دراسة تبين الحاجة إلى توسعة مبنى الكيمياء لاستيعاب طلبة الطب تقدم لرئيس الجامعة.

يقول د. موسى الناظر:

في اجتماع حضره مدير مكتب الهندسة عطا الله دواني، عرضت أثناءه بشيء من المبالغة الحاجة الماسة لتوسعة المبنى وربط ذلك بنجاح مسار تأسيس كلية الطب، مستغلاً تصميم الرئيس على دفع مسيرة تأسيسها، وكان مطلب القسم ينحصر ببناء توسعة بجانب المبنى القائم تتكون من طابقين، أحدهما لمتطلبات السنة الأولى والآخر لمتطلبات السنة الثانية، كنت أتوقع التردد في الموافقة إلى درجة الرفض في ضوء عدم وجود ميزانية تسمح في الشروع بالبناء، لكن رغبت في أن يكون الرئيس مطلعاً على الحاجة لعل يوماً تتهيأ الفرصة للتنفيذ، بعد برهة من الصمت نظر إلى المهندس وخاطبه: يا عطا الله خططوا لبناء من ثلاثة طوابق. أدهشني توجيهه هذا، شكرت الرئيس، وتساءلت: طلبنا طابقين وتوقعنا مساومة على أقل من ذلك وتفاجأنا بزيادة طابق، فأجابني بالقول: عندما أقرر تأسيس كليات أخرى بعد ذلك ستأتيني بدراسة تطالب من خلالها ببناء جديد، خططوا الآن لما تحتاجونه غداً. أكد هذا الموقف سعي الدكتور عبد السلام للتوسع

في تأسيس الكليات العلمية ذات الصبغة المهنية، كما عكس ثقة د. عبد السلام بالدكتور موسى الأكاديمي الحذق.

ولذلك وفي هذا الجو الغامض نسبياً وللسير في الإجراءات الأكاديمية تأسس المجلس المؤقت ليقوم بكل الأعمال التحضيرية والتنفيذية والأكاديمية، وكان بمثابة الخطوة الأولى في وضع حجر أساس كلية الطب، وتالياً قرار التشكيل:

قرار إنشاء كلية الطب في 1-10-1971م

قرر مجلس الجامعة الأردنية تشكيل مجلس مؤقت لكلية الطب وذلك في 1/10/1971م وانتهى في 11/2/1973م. وتشكل أعضاء المجلس المؤقت على النحو التالي: ثلاثة أساتذة من كلية العلوم، وخمسة أفاضل من العاملين في مختلف ميادين الطب، وممثل من وزارة الصحة.

كل ما تقدّم من المعلومات موجودة بين يدي المهتمين، ولكنني أريد أن أقول إن موسى كان عضواً مهماً في مجلس كلية الطب الأول (المؤقت) الذي تكون آنذاك من:

د. موفق الفواز

د. موسى الناظر

د. عدنان افرام

د. صبحي القاسم

د. كريم الريماوي

د. فريد عكشة

د. كارلوس دعمس

د. إسماعيل زايد

د. فؤاد الكيلاني.

بدأ المجلس بالعمل على النحو التالي:

تحديد مكان كلية الطب ليكون لصيقاً بمستشفى عمان الكبير، والذي أصبح مستشفى الجامعة الأردنية، وكانت الأرض ملكاً للجامعة خُصصت لبناء مستشفى عمان الكبير الذي قامت وزارة الصحة بإنشائه وتجهيزه.

تزايد أعداد الطلبة في كلية العلوم وذلك لتزويد كلية الطب اعتباراً من 1972 / 7 / 1 م، واستمر الحال حتى عام 1976 م. وقد قرر مجلس العمداء قبول طلبة الثانوية العامة مباشرة في كلية الطب.

لم يكن هناك أية رغبة أو مبادرة لتدريس التمريض والطب معاً.

لم يكن هناك أية مصاعب لعمل المجلس المؤقت.

لم يكن للمجلس رأي بالتحاق الدكتور فرانك هوارث.

كان المجلس المؤقت لكلية الطب سيد نفسه ولم تتدخل أية جهة في عمل المجلس وبالذات من رئيس الجامعة.

عمل المجلس المؤقت لكلية الطب دون مصاعب وانتهى العمل بتعيين د.

هوارث.

يقول د. صبحي القاسم رئيس المجلس المؤقت: وصلني كتاب بتاريخ 1973 / 2 / 11 م من رئيس الجامعة (الدكتور عبد السلام المجالي) بمناسبة تعيين الدكتور فرانك هوارث الذي أصبح عميداً لكلية الطب، وبالتالي انحل المجلس المؤقت، وأرفق إليكم نسخة من الكتاب أعلاه.

مرفق كتاب عبد السلام المجالي:

الجامعة الأردنية

مكتب الرئيس

الرقم 964/3/12/11

التاريخ 1973/2/11م

الأستاذ صبحي قاسم

رئيس المجلس المؤقت لكلية الطب

تحية طيبة وبعد،

فأود أن أعرب لكم بمناسبة تعيين الأستاذ فرانك هوارث عميد كلية الطب في الجامعة الأردنية، عن صادق شكري وتقديري وامتناني للجهود الخيرة التي بذلتموها في أثناء مدة توليكم رئاسة المجلس المؤقت لكلية الطب، أبان فترة إنشائها وتأسيسها.

إن التجربة التي قامت بها الجامعة الأردنية بإشراك ممثلين عن المؤسسات العامة والقطاعات الخاصة لإبداء الرأي والمشورة في وضع الخطوط العريضة لإنشاء كلياتها والتي منها كلية الطب، قد أكدت إيجابية انفتاحها على المجتمع بقطاعاته المختلفة وهي سياسة دأبت الجامعة على اتباعها، وستبقى تتبعها في كل مجالات نشاطاتها المختلفة.

ولقد كانت الجهود التي بذلتموها خلال مدة رئاستكم في المجلس المؤقت لكلية الطب وما بذلتموه من مشورة وتعاون وآراء سديدة خلال هذه الفترة ما سيظل موضع الذكر والثناء.

وأكرر الإعراب عن فائق شكري وتقديري مع أطيب أمنياتي لكم باطراد التوفيق والنجاح، راجيا استمرار التعاون بينكم وبين جامعتكم الأردنية.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

رئيس الجامعة

(الدكتور عبد السلام المجالي)

لم يكن لمجلس كلية الطب أي رأي ولم يُستشر في تعيين بروفيسور هوارث، كما أسلف د. صبحي القاسم، حيث قال: «لم يكن للمجلس رأي بالتحاق الدكتور فرانك هوارث»، ويقول موسى الناظر عضو المجلس:

«ليس في ذاكرتي ما يفيد كثيرا بخصوص هوارث ووجوده في كلية الطب، لكن في ظني أنه جاء إلى الجامعة الأردنية نتيجة توصيات من مؤسسة دولية ضمن مساعدة محددة، وكان الداعي لاستقدامه أن له خبرة في تأسيس كليات طب في دول «العالم الثالث»، ووفق أسلوب التكامل بين المواد الدراسية وليس بأسلوب التخصصات المستقلة بالطريقة التقليدية على أساس أن ذلك أقل كلفة وأيسر تنفيذاً».

يقول الدكتور موسى الناظر:

«عقد المجلس ندوات حوارية مع جمهور الأطباء، شارك فيها جمهور الأطباء من القطاع الخاص والعام بشقيه المدني (وزارة الصحة) والعسكري (الخدمات الطبية الملكية)؛ لمناقشة العديد من التساؤلات، كما أن المجلس تمثل فيه مختلف القطاعات الصحية في البلد.

كانت مهام مجلس الكلية المؤقت، الذي دام لمدة تقل عن الستين، فنية تتعلق بالخطة الدراسية، وأقسام الكلية، وتخطيط المبنى، وتحديد الاحتياجات. ولم يتم بعمل إداري كون الطلبة كانوا في كلية العلوم خلال تلك الفترة ولم يكن هنالك أي تدخل من أي جهة في هذه الشؤون.



مع زملاء لجنة تأسيس كلية الطب في الجامعة الأردنية

عميد إيراني- د. موفق الفواز- د. موسى الناظر- د. صبحي القاسم- د. عدنان أفرام ٢٥-٣-١٩٧٢ في إيران

في ربيع العام 1972م أوفدت الجامعة الأردنية أربعة من أعضاء مجلس كلية الطب المؤقت إلى إيران لزيارة عدد من الجامعات والاطلاع على تجربتها في مجال التعليم الطبي، وتشكل الوفد من رئيس المجلس الأستاذ الدكتور صبحي القاسم، والأعضاء: الأستاذ الدكتور عدنان أفرام، والأستاذ الدكتور موسى الناظر، والدكتور موفق الفواز ممثل وزارة الصحة في المجلس، وكانت الزيارة بالتنسيق مع السفارة الأردنية في طهران (السفير صالح باشا الكردي)، وقد شملت الزيارة كليات الطب في كل من طهران واصفهان وشيراز، وكانت من أبرز القضايا التي عرضت الصعوبات التي تُواجه في تنفيذ العلوم الطبية الأساسية، والتوفيق بين عمل الأطباء في العيادات الخاصة وعملهم في التدريس. وفي تقديري أن الزيارة جاءت نتيجة العلاقة القوية بين رئيس جامعة طهران مع رئيس الجامعة الأردنية آنذاك الأستاذ الدكتور عبد السلام المجالي الذي لعب دوراً أساسياً ومهماً في تسهيل زيارة الوفد وله معرفة جيدة مع عميد كلية الطب في جامعة شيراز».

كانت زيارة الوفد إلى طهران زيارة مفيدة لمهنية أعضاء المجلس، والاحتفاء بهم، وعمل اللازم لإطلاعهم على دراسة الطب في إيران، وكان في ذلك الوقت نظامان في إيران؛ نظام تقليدي في طهران وهي جامعة متميزة، ونظام جديد في شيراز استعمل اللغة الإنجليزية أولاً واستعمل النظام الأمريكي. وقد تعدلت الخطة الدراسية بعد ذلك، فتم اختصار تحضيرية الطب من سنتين إلى سنة واحدة في كلية العلوم.

ولم ينته عمل الدكتور موسى بمساهمته العملية في بناء كلية الطب، بل كان عوناً لي في التأريخ لها، وكان راصداً أميناً صريحاً واضحاً من قراءة وانتقادات وتوجيه شخصي عندما كتبت كتاب «تاريخ كلية الطب في الجامعة الأردنية- دراسة شاملة معززة بالوثائق» الذي صدر في شباط 2013م.

وقد قال د. موسى عنه:

(في هذا الكتاب شخص كامل الحالة، وكشف عن مواطن القوة والضعف مستخدماً الصور والوثائق، كما يستخدم الطبيب الأشعة والتحليل، أوصى بالعلاج وقدم الاستشارة وترك الفرصة للقائمين على أمر الكلية والجامعة بأن يوظفوا المتاح من الإمكانيات، مقدماً أمثلة على الإنجاز في ضوء شح الإمكانيات، إذ كان ضعف المال يعوضه عطاء الأعمال. في عمل كهذا يسجل مشاهد إنسانية وينقل أقوال الزملاء والمسؤولين ورسائلهم وبعض سيرهم الذاتية، ويعرض مواقف مؤيدة ومعارضة لرؤى الكاتب يكون الالتزام بالموضوعية كالقبض على جمر، فالكلمة الصريحة العارية من المجاملة، تميز التعليقات والتحليلات مع فائض من العواطف والحماس. وإن كان من المتوقع أن تغضب البعض بقدر ما تسر البعض الآخر، وفي تقديري أن ما رأى الكاتب من إيجابيات في أعمال البعض ومواقفهم قد لا يراها أصحابها أنفسهم، إذ يلمس المسعى لإعطاء كل ذي حق حقه).

والجدير بالذكر أن الدكتور موسى هو زميل لنا في مجمع اللغة العربية الأردني، وأخيراً وليس آخراً أنا مدين للدكتور موسى؛ مع أن الدكتور موسى من علماء الكيمياء فهو قارئ دقيق للآداب والعلوم، ومعروف بهذه الصفات، فإن قلّة لا يعرفونه، والكثيرون لا يعرفون زهده في الظهور وتولّي المناصب الإداريّة التي عُرضت عليه منذ عودته إلى التدريس في الجامعة الأردنيّة عند بدايتها، وأنا على علم بذلك، وقد أكّد لي الدكتور عدنان بدران، عميد كلية العلوم آنذاك، أن الدكتور عبد السلام المجالي طلب منه إشغال عدّة مواقع ولكنه رفض؛ لأنه كان يتفرّغ للأكاديميّة معتقداً أنّ أيّ عمل إداريّ هو انحرافٌ عن مبادئه، ولكنه رغم ذلك لم يبخل بخبرته وآرائه وفضله الذي لا يُنسى الأساسيّ في إخراج كتاب تاريخ الطب الحديث في الأردن وفلسطين منذ القرن التاسع عشر.

وقد لجأت إليه منذ بداية فكرة الكتاب؛ وذلك لعلمه الواسع ولدقته في القراءة ولقدرته الفائقة على تقييم النصّ على نحوٍ علميّ، ولعدم رضاه عن أيّ تعميم ولقناعته الجازمة بأنّ التعبير الدقيق العلميّ هو الأساس في نقل الحقيقة مهما كان الموضوع.

لقد راجع الدكتور موسى كلّ مُسوّدات الكتاب بأجزائه المتعدّدة، ولم يكتفِ بالتصحيح على الهامش؛ إذ كان يقرأ في كلّ مرة تلك المُسوّدات التي زاد عددها على خمس أو ست، وكان ينقدها منهجياً، حتى إنه كان يراجع الجداول التي يكره الكثيرون الوقوف عندها، ولا أنسى كلماته: «يا كامل، الجدول الأصمُّ لا فائدة منه»، وكان يقول لي: «اجعله ينطق ويتحدّث عن نفسه». وقد أدّت هذه النصائح التي كنت أخذ بها إلى تحسين النصّ أو تقريبه إلى فهم القارئ، فللدكتور موسى كلّ التقدير والاعتراف بالفضل.

إن قصر الوقت يمنعني ولا يسمح لي بأن استمر بذكر مناقب المحتفى به

الأستاذ الدكتور العالم والصدیق العزیز د. موسی الناظر، وأرجو أن تعتبر کلماتي
ومضات في بعض ما قدّمه الدكتور في مجال الطب إنشاءً وتاريخاً.

والله من وراء القصد،

والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

الدكتور موسى الناظر؛ العالم الباهر والجار الساهر

أ. د. م. منذر حدادين⁽¹⁾

حضرات السيدات والسادة

مع حفظ لقاب كل منكم

أسعدتم صباحاً وطابت كل أوقاتكم

أتقدم بالشكر الجزيل لمؤسسة شومان الرائدة، وإلى المديرية القديرة فالانتينا قسيسية وكادرها، لمبادرتهم إلى تنظيم حفل التكريم هذا لأستاذ فذ يعترف بفضله خريجو كلية العلوم بالجامعة الأردنية ويشير إليه بالبنان أساتذة الكيمياء في المنطقة والعالم لبناهته وسمو أخلاقه ومساهماته البحثية والأكاديمية. وأشكرهم جميعاً لشمولي في دعوتهم للحديث في المناسبة. ولي معرفة طويلة وأخوة متينة بالدكتور الناظر وذويه، بدأت عام 1959 يوم جلست إلى جانب والدي ووالدتي في مساء أحد أيام حزيران من ذلك العام في الميدان الأخضر في حرم الجامعة الأميركية

(1) شغل عضوية مجلس أمناء جامعة البلقاء التطبيقية أربع سنوات ثم ترأس مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية أربعمائة أخرى. وشغل بعد ذلك عضوية مجلس الأعيان للسنوات

في بيروت لحضور الحفل الخاص بتخريج أفواج طلابها ذلك العام، إذ كان ضمن خريجي الماجستير في كلية الآداب والعلوم أخي المرحوم مخلوف حدادين. وما أن قرأ عريف الحفل اسمه وصعد مخلوف إلى المنبر حيث رئيس الجامعة يسلم الشهادات لمستحقيها حتى ملأ جو الميدان الهادئ صوت زغرودة أطلقها والذي محتفلاً بطريقته في تخرج ابنه ليحمل درجة الماجستير في العلوم، أعلى درجة حصل عليها أي من شباب الحدادين آنذاك. هرع جمع الصحفيين إلى حيث انطلقت الزغرودة، وشاهدوا والذي بالزي العربي: عباءة وكبر ثم شماغ أحمر وعقال، وإلى جانبه قرينته أُمِّي بالثوب الزاهي، العربي المطرز، والتقطوا عدة صور ظهرت في الصحف اللبنانية في اليوم التالي تحت عنوان: «شيخ خليجي يحتفل بتخريج ابنه».

كان بين خريجي كلية الآداب والعلوم يومها الخريج موسى زهدي الناظر ونال درجة البكالوريوس في الكيمياء، وكان موسى قبل ذلك بأربع سنين من أوائل الطلبة في امتحان شهادة الدراسة الثانوية الأردنية من مدرسة الحسين بن علي الثانوية في الخليل. ولم نكن نعرف كافة أصدقاء أخي مخلوف في الجامعة الأميركية لكننا عرفنا قسماً منهم. وغادر مخلوف ذلك العام إلى جامعة كولورادو في مدينة بولدر الأميركية وتابع دراساته العليا وحصل على درجة الدكتوراه في الكيمياء العضوية، وانتقل بعدها للعمل في بحوث ما بعد الدكتوراه في جامعة هارفرد بضاحية كامبردج القريبة من بوسطن بولاية ماساتشوستس مع الأستاذ فيزر، أحد مخترعي سلاح النابالم بعد الحرب الثانية. وهناك التقى ثانية بالطالب الخريج موسى الناظر وهو على وشك أن ينهي بحوثه ودراسه لنيل درجة الدكتوراه في الكيمياء من تلك الجامعة العصماء. وتوطدت صداقة الاثنيين وكان ثالثهم مختصاً بارعاً في الفيزياء النووية هو الدكتور إبراهيم أبو شميس من قرية يازور بجوار يافا في فلسطين، وانتهى المقام بثالثهم هذا في مختبرات آرغون الوطنية الأميركية في ولاية إلينوي حيث التقيته عام 1969 مع زوجته ماري روث دوغلاس في شيكاغو وقضينا سوياً أياماً

ممتعة. أما أخي مخلوف فقبل عام 1964 عرضاً من جامعته الأم: الجامعة الأميركية في بيروت. فما شأن موسى الناظر بكل هذا؟

تسلم أخي مخلوف رسالة عام 1964 من المرحوم الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس الجامعة الأردنية الوليدة، يعرض عليه العودة للبلاد للانضمام إلى كوادر الجامعة الأردنية. وكان مخلوف ذلك الحين ما زال يسدد التزاماته المالية للحكومة الأردنية التي كانت ابتعثته أصلاً للحصول على البكالوريوس في الكيمياء شريطة أن يعود لينضم إلى جحافل المربين وتدرّس موضوع اختصاصه في مدارس التربية والتعليم. إلا أنه أثر استقاء المزيد من العلم فتوجه للدراسات العليا كم أسلفنا. ولدى استلام مخلوف الرسالة من الجامعة الأردنية كان قد قبل العرض الذي وصله من جامعته الأم والتزم للعمل مع الجامعة الأميركية ببيروت، ولما يكنه من محبة وإخلاص لبلده الأردن، أجاب بالشكر وبالاعتذار الرقيق مقروناً بترشيحه الدكتور موسى الناظر ليحل في ربوع الجامعة الأردنية بدلاً منه. ولا ريب أن توصيات أخرى تلازمت مع توصية مخلوف أدت بمجلس أمناء الجامعة الأردنية اتخاذ قرار بتعيينه. ولا أدري اليوم إن كان الدكتور موسى قد علم بذلك، لكنني سمعت أخي مخلوف يخبرنا به.

كان الدكتور موسى أكبر أبناء والديه، كما كان والده المرحوم زهدي الناظر قد قضى. وكان طالباً في الدراسات العليا في جامعة هارفرد الأميركية وقد أنجز متطلبات درجة الدكتوراه في الكيمياء. وتسلم رسالة من الجامعة الأردنية في صيف عام 1965 تعلمه أن مجلس الأمناء قد قرر تعيينه مدرساً فيها وتطلب إليه الالتحاق بالعمل فوراً. ولم يكن يعرف عنها إلا ما وصل أسماعه في كامبردج بولاية ماساتشوستس من حديث للمرحوم الدكتور ناصر الدين الأسد الزائر يومها لجامعة هارفرد في العام 1964، من أن في البلاد جامعة هي الأولى وكانت حلاًماً يراود ملكها ورجالات الدولة من حوله. لكن ما وردة عنها من معلومات كانت ضبابية

لا تساعد على فهم أجوائها وأولوياتها، حتى أنه طلب من أحد أقرابه الاستفسار عن الجامعة وأوضاعها وإعلامه. وبعقلية المواطن الحر المتممي قرر قبول ما طلبه مجلس الأمناء وفضله على ما ينتظره من عمل في إحدى كبريات الشركات الأميركية الزاخرة بالإمكانيات والطاقات العلمية والمختبرات اللازمة للبحوث. وكانت شركة ESSO للبتروكيميا تتنظر الفرصة لضمه إلى كوادرها وهي التي قدمت له دعماً سخياً أثناء دراسته للدكتوراه.

أيقن الخريج موسى أن المعطائين القائمين على الجامعة الأردنية لا بد في عجلة من الأمر للبدء بتأسيس كلية العلوم. توكل موسى على العلي القدير وقفل راجعاً. وما أن استراح لبعض أسبوع حتى بدأ نهاره بالذهاب إلى حرم الجامعة الأردنية في الجبيهة. وكان قد حظي بزيارة ذلك الحرم الجامعي قبل عشر سنين لما كان الحرمُ مستنبتاً زراعياً ومدرسة زراعية تابعين لوزارة الزراعة عمل على تطويرهما مع محطات أخرى للتجارب الزراعية في الإمارة والمملكة المرحوم الدكتور نصوح الطاهر طيب الله ذكره وثرأه. يقول الدكتور موسى في إحدى مقالاته يصف ما اعتراه من تفكير ومن زهو وهو ينظر في أمر مستقبله لما تسلم رسالة الجامعة الأردنية:

«لم يكن لدي من المعلومات ما يمكن من تشكيل صورة عن المكان وما فيه ومن فيه، فالبيئة مجهولة والمغامرة كبيرة، والتحديات ستكون أكبر، ومن ناحية يبرز التساؤل: ما الذي سيغذي النقلة الهائلة من مكان يغص بالإمكانيات العلمية والمادية ويملك من مقومات المستقبل ما يطمئن ويعد بالكثير! إلى مكان لا يملك إلا بعض أناس معطائين وحفنة من طلبة، وإمكانيات متواضعة، لكنه يملك، لا تاريخاً يكبله، ولا بيروقراطية تقيدته، بل كل عناصر التحدي، فكل جهد يبذل فيه مهما كان ضئيلاً سيحدث تغييراً. وإن كان المكان فقيراً فإنه سيغتنى بالجهد والاختلاص».

ويضيف الدكتور موسى: «تفاعلت كل هذه الاعتبارات في بوتقة النفس يغذيها متعة العمل في المجهول، فكان أن وجدت نفسي في مطلع أيلول من العام 1965

أقف عند بوابة الجامعة، أمام حارسها، طويل القامة، أسود البشرة، بشوش الوجه، سائلاً إياه عن مكتب الأمين العام. فأرشدني إلى مبنى يقبع بين أشجار الصنوبر، وفي الحرم الجامعي، وبارشاد حارس البوابة سرت في طريق غير فسيح صاعداً، ومررت برجل مسن يروي شجيرات ورد، فتأكد لي أن الجهة التي يطفئ موظف فيها ظمأ شجيرات ورد تزين شارعاً فيها في حر الصيف، لا شك ستسعى لتزويد نشء الوطن، وروده وشجيراته وأمل مستقبله، بعلم وتربية تطفئ ظمأهم للعلم والمعرفة. انتابني تفاؤل من البداية امتزج بمشاعر جميلة حين دخلت مبنى كنت قد عبرت مدخله قبل عقد من الزمن لما كان موقعاً لمستنبت ومدرسة زراعية. التقيت في ذلك المبنى بكافة العاملين في إدارة الجامعة، منكبين على أعمالهم في مكاتب متواضعة الأثاث. تنقلت بينهم في مشوار قصير تثبت من خلاله ارتباطي الرسمي بالجامعة، وقبيل مغادرتي له رغب الأمين العام أن يقدمني لرئيس مجلس الأمناء، الذي علمت أنه دائم الحضور كونه مُخوَّلاً لرئاسة الجامعة إلى أن يتم تعيين رئيس دائم لها، رحب بي دولة الرئيس في مكتب صغير عند مدخل المبنى لا يزيد في مظهره وأثاثه عما نجده هذه الأيام في غرفة حارس مبنى».

ثم ينبئنا الدكتور موسى عن زيارته لمبنى كلية العلوم في الحرم الجامعي، ولم يزد ذلك المبنى الذي رأى يومها عن أعمدة ضاربة نهاياتها في الفراغ، تنتظر إرساء سقف يقي محتوياته المستقبلية، من سلع وبشر، قيظ الصيف وبرد الشتاء. ويشيد الدكتور موسى بهمة المقاول والعاملين في تشييد المبنى كي يسلموه قبل بدء العام الميلادي الجديد بالعمل في ورديات متواصلة.

ولما انتهى به المقام في حرم الجامعة الأردنية ليساهم في تأسيس كلية العلوم فيها ثم تأسيس قسم الكيمياء فيها، ارتحل موسى وأهله من حلحول بالخليل إلى عمان، وإذا به يجاور أهلي في السكن بنفس المبنى الذي ابتنوه عام 1966، واحتل موسى وأهله: أخواه عمران ومروان ثم قرينته المرحومة وفيه الهدمي وعلى رأسهم

الوالدة المرحومة أم موسى طابقاً في مبنى الحدادين. أما شقيقاته فكُنَّ متزوجات كل مع زوجها وأهلها. كان بيت الحدادين أول البيوت المشيدة إلى الجانب الشمالي من طريق الجامعة الأردنية ذي المسربين (طريق السلط) متوسطاً المسافة بين دوار الداخلية ومدينة الحسين الرياضية. استقرت عائلة الناظر في الطابق الأرضي في حين احتل أهلي الطابق الأول. وعاشت العائلتان لحوالي عقد من الزمان وكانهما عائلة واحدة متماسكة.

حضرتُ من الولايات المتحدة في أول زيارة منها للأهل في أول آب عام 1970، وكان الجوّ ملبداً بغيوم المشاكل الأمنية بما لم أقدر على استيعابه. وكان هدفي من الزيارة حضور حفل زواج شقيقتي الصغرى من صديق العمر الذي تعرفت إليه في سن الثامنة وما زلنا أصدقاء. وانتهزت فرصة وجودي في عمان لأزور المعارف والأصدقاء، وقمت بزيارة للمغفور له وصفي التل وكان عضواً في مجلس الأعيان. سر بزيارتي فقد عرفته قبل ذلك بست سنين، وطلب إلي دولة العين أن أقبله في وزارة الأشغال العامة في اليوم التالي ليجد لي متسعاً للعمل هناك.

ذهبت للوزارة وكان سبقني إليها دولة العين وصفي، ولم أستغ مجالات العمل هناك لخلوها من البحوث وافتقار مختبرات الوزارة لمستلزمات البحوث. عدت أدراجي إلى الولايات المتحدة بعد أن شهدت في عمان مواقف مواجهات بين المقاومة والجيش ما لم يكن في الحسبان مطلقاً. أسوق قصتي كي أبين أن بحث البلاد عن كفاءات متقدمة كان على رأس أولويات المسؤولين المخلصين، وهو ما خبره أيضاً الدكتور موسى الناظر.

دخلت البلاد في أزمة الرهائن في قاع حنّا، أعقبها تشكيل حكومة عسكرية ودخول الجيش من غرب عمان باتجاه أحيائها، وكان حيناً من أوائل الأحياء التي اكتسحها الجيش، وربضت دبابة قبالة بيتنا إلى الشمال، وبسبب النيران حول البيت

وفوقه التجأ الدكتور موسى وأهله مع أهلي إلى غرفة البويلر في الطابق الأرضي قبالة الدبابة المذكورة، وحظي باب ملجئهم بقذيفة من تلك الدبابة انفجرت بالباب وملاً الدخان منها جو الملجأ، لكن الملتجئين لم يصابوا إلا بالذعر وخاصة الأطفال منهم.

تأثرت أيما تأثر بأحداث أيلول وأنا في مقامي ببلدة أيفانستون بجوار شيكاغو الشمالي. وفوجئت هناك بعد أقل من شهر ثلاثة، كما فوجئ قبلي الدكتور موسى، ببرقية من رئيس الوزراء الأردني المرحوم وصفي التل في ديسمبر 1970 تطلب مني الحضور للوطن فوراً. كنت حينها أقوم بإجراء البحوث التطبيقية في أشهر المعاهد في تخصصي في الهندسة الإنشائية، كما كنت قد تقدمت لخطبة فتاة أميركية بعد أن حظيت بمنحى الإقامة الدائمة في الولايات المتحدة استناداً لمؤهلاتي العلمية. عدت استجابة لطلب دولة الرئيس وقابلني في مكتبه بتاريخ 28 ديسمبر 1970 وبعد ترحيبه قال لي ونحن واقفان:

- ما الذي تفعله في أميركا وقد نلت مبتغاك من الدرجات العلمية؟
- علم يا سيدي متقدم، وبحوث ممتعة عملت على نشر بحثين في المجلة المحكمة القائدة في مجال اختصاصي.
- اسمعني جيداً؛ هناك مليون دكتور في الهندسة في أميركا، بلدك ما فيهاش ولا واحد. بدك ترجع يعني بدك ترجع. وهي الحكومة: نقي وين ما بدك.

أذهلني طلبه كما أذهلتنى ثقته، وطلبتُ من دولته مهلة أسبوعين لتسليم آخر بحثي الذي أتممت، أعود بعدهما لأكون تحت تصرفه. وهكذا كان، كانت العوامل التي لعبت الدور الرئيس في عودتي هي الهزيمة التي مني العرب بها، ومعهم الأردن، عام 1967، ثم أحداث أيلول المؤسفة وما تلاها من إعادة هيكلة ومن

حاجة للكفاءات. عدت لبلادي للعمل فيها وخدمة ساكنيها، ثم رجعت بعد تسعة أشهر للاقتران بخطيبتي وإحضارها معي لنعيش سوياً منذ اثنين وخمسين عاماً.

وسعدت بلقاء الدكتور موسى الناظر وأهله. وكانت باكورة أعماله تأهيل وإصلاح البيت مما أصابه من عطب وخراب؛ إذ كان في أول ما واجهه الجيش العربي عند دخوله عمان في أيلول 1970 من ناحية المدينة الرياضية. وساعدني في ذلك مروان الناظر - أطل الله عمره - شقيق موسى. وسررت أيما سرور في إقامتي بالوطن بعد طول غربة، وكان الدكتور موسى صاحب الدار وخيرة الجوار.

وكان بيت موسى الناظر مشرعاً لاستقبال الضيوف من الضفة الغربية بغير احتساب، ولما كانت أم موسى تفتقد الضيوف كانت - رحمها الله - تمشي مسافة إلى المتجر القريب عبر شارع الجامعة لتطلب إليه أن يدل السائل عن بيت الناظر وترية موقعه!

وعلمت حينها من مصادر العائلة أن الدكتور موسى كان سباقاً إلى اجتياز خط وقف إطلاق النار مع العدو بعد حرب عام 1967. إذ فاجأت الحرب موسى الذي كان في عمان وكانت خطيبته في القدس؛ حيث أهلها في وادي الجوز في الطريق من باب العامود إلى جبل الزيتون. شحذ الدكتور موسى عزمته وعبر النهر تسلاً من ضفته الشرقية إلى ضفته الغربية، ووجد طريقه إلى القدس ليعود بشريكة السنين اللاحقة إلى بيته في عمان. وهو ما جعله يستحق لقب الفدائي الفذ. وعلى ذكر ذلك لا بد من التنويه إلى ما عانت عائلته وما عاناه أنسابه بفقدانهم شاباً في مقتبل العمر هو أسامة الهدمي في مقاومته للاحتلال البغيض.

حلفت سمعة الدكتور موسى الناظر في رحاب الجامعة الأردنية، وطاب ذكره مثلما طابت سمعته. واستمر في الخدمة المخلصة ما ينوف على نصف قرن من الزمان قضاها في المتلازمين: البحث والتعليم، وجعل منهما مساراً لحياته المهنية مستهدفاً إياهما وبعيداً عن المناصب الإدارية. كما أمضى ردهاً من فترات جهده

المضني في تأسيس كليات العلوم في الجامعات الأردنية، الحكومية منها والخاصة، وفي مساعدة الأشقاء في فلسطين على تأسيس كليات العلوم في جامعاتهم. ويغوص الدكتور موسى في تفاصيل ذلك حتى إنه كان يضع التصاميم المثلى للمختبرات.

ويقول الدكتور موسى: «شدني التحدي المتمثل في العودة، واغتنام فرصة التأسيس وتشكيل مسار التعليم في الجامعة وفق رؤية متحررة من القيود، ومتأثرة بما خبرت وتعلمت في كبرى الجامعات العالمية. كما لمست، مقدماً، المتعة التي تنتظرنني في التعامل والعيش مع أول مجموعة من الطلبة في أول كلية علوم في أول جامعة في بلدي».

ويزيد: «ما رأيته في بداية عملي من جدية وتفانٍ وإخلاص لدى إدارة الجامعة، وما تحدثت به عيون في وجوه طلبة في أول لقاء، أكد لي بقوة سلامة قراري بالعودة، ومن أنها لن تكون عودة مؤقتة كما توقع عديد من الناس قياساً على ما كان شائعاً عند حاملي الشهادات العلمية العالية».

وجد الدكتور موسى موطنه في الجامعة الأردنية، وأصبح التعليم الجامعي ومساراته التأسيسية في مختلف الجامعات الأردنية مهنته الأساسية، وكان البحث العلمي في مجال تخصصه الرئيس مدمجاً مع، ولا ينفصل عن التعليم. ولم تكن براعته في ذلك مبتغىً لترقية أو إشغال منصب بل كان ديدنه لاجتراح وسيلة تعليمية وتربوية. وهو بنفس الوقت ما اعتبره الدكتور موسى بلسماً أبعدته عن المناصب الإدارية الأكاديمية برغبة جامحة منه. وأتاح ذلك له فرصة العمل خلف الستار، وجعل إنجازاته العلمية لا تقرأ على ورق فقط، بل هي مزروعة في طالب العلم، وفي تأسيس الإمكانيات التي تؤهل الناس وفي بنائها. وقد امتدت مساهماته على حيز واسع في ميدان التعليم المدرسي والجامعي لا في الأردن وحسب، وإنما في العديد من الأقطار العربية أيضاً. وتمثلت مساهماته في إعداد المناهج والكتب المدرسية في العلوم عامة، وفي الكيمياء خاصة، على مدى عقود مسيرته. وفي

الميدان الأكاديمي تركزت الجهود في التأسيس لمختلف الجامعات الرسمية وبعض الجامعات الخاصة، وكذلك لجامعات فلسطينية؛ من حيث المشاركة في لجان إعداد اللوائح والتشريعات والخطط الدراسية وتصميم المختبرات وتجهيزها، كما تعددت المشاركات في مختلف لجان وزارة التعليم العالي بما يخص كليات المجتمع من مناهج وامتحانات وتقييم أداء.

وعلى الصعيد الإقليمي والدولي تعددت النشاطات واشتدت، بما في ذلك تنظيم مؤتمرات كيميائية دولية عقدت في الأردن، وإعداد دراسات وتقارير لمؤسسات دولية تخص التعليم العالي.

ولابد من التعرّيج على ما سَمّا باسم الدكتور موسى الناظر في سماء الكيمياء العضوية إقليمياً وعالمياً؛ إذ اتخذت أعماله في البحث العلمي منحىً تأسيسياً في مجال دراسة المركبات الكيميائية العضوية ذات التأثيرات الحيوية، وامتدت جهوده في هذا المجال ستة عقود من الزمن مستهدفة خدمة صحة الإنسان، فهي ذات صلة بالهرمونات ومضادات الملاريا والمضادات الحيوية والسرطانات. واتجهت دراساته نحو ابتكار طرق جديدة لتحضير مركبات جديدة ودراسة أشكالها وتفاعلاتها، كما تعامل الدكتور الناظر مع حلول لمعضلات كيميائية قائمة، ومع تفسير سلوكيات غامضة في التفاعلات الكيميائية. وقد قدمت إنجازاته في ذلك المنحى للمختص في مجالاتها طرقاً مبتكرة تمكّن من تحضير مركبات جديدة وتكشف عن قضايا غامضة لسلوك مركبات وتفاعلاتها هي في زمانها ريادية بطبيعتها (Front Line) تفتح آفاقاً للباحثين في مجالها.

وقد تمثّل في هذه الأبحاث التعاون الوثيق بين الجامعة الأميركية في بيروت، ممثلة بمختبرات المرحوم الأستاذ مخلوف حدادين وبين قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية. فمنذ أن تخرج الفوج الأول من طلبة الكيمياء في الجامعة الأردنية وقبل تأسيس الدراسات العليا في القسم، أدى العديد من الخريجين أبحاثهم لدرجات

الماجستير والدكتوراه في مختبرات الجامعة الأميركية في بيروت، وتواصلت العلاقات في البحث وتعزيزت بعد الشروع في برنامج الدراسات العليا في الجامعة الأردنية. وقد أتيح للدكتور الناظر أن يقضيَ جميع إجازات التفرغ العلمي في الجامعة الأميركية أستاذاً زائراً وباحثاً في مختبرات الأستاذ الدكتور مخلوف حدادين، وتواصلت هذه المشاركة رداً طويلاً من الزمن متمثلة بالأوراق البحثية المنشورة في المجالات العلمية المحكمة المرموقة إلى عهد قريب.

ومهما حملت هذه الأعمال البحثية من قيمة ومكانة في مجال العلوم الكيميائية الأساسية، إلا أنها في نظر الدكتور الناظر لا تتقدم على الأعمال التأسيسية في مجال التعليم التي ذكرناها آنفاً، إذ يعتبر الدكتور موسى انشغاله في تلك الأعمال التأسيسية وما حققه فيها تحقيقاً لهدفه في الحياة.

وكنا نفاخر بالدكتور موسى في حديثنا مع أصدقائنا ومعارفنا. ولم تكن واجباته البيتية أقل ضغطاً على وقته وبرامجه من واجباته التعليمية والبحثية، إذ برع براعة منقطعة النظير في إنشاء حديقة خضراء حول منزله تزدان بالورود والأزهار، مثلما تجود بإنتاج الثمار من مثل التوت الأرضي وبعض الخضار وثمار أشجار الزيتون ودوالي العنب. وكان الدكتور موسى يعتني بالحديقة الغناء شخصياً، مما جعلنا نحار في تعداد مواهبه وكفاءاته.

وكان أجمل ما في الألفة بين الحدادين والناظر في ذلك البيت تمازج الأبناء كالإخوة والأخوات، وكانت ابنتي البكر سمية لا تفارق فدوى ابنة الدكتور موسى إلا نادراً. وأذكر أنني وصلت ذات يوم إلى شقتي في ذلك البيت الذي ازدادت طوابقه، لأجد ابنتي وقد نشرت سجادة صغيرة على الأرض وبدأت تبدي من الحركات ما كانت تشاهده في بيت موسى؛ إذ كانت والدته بالأخص لا تترك فرضاً، فتعلمت ابنتي الصلاة منها!!!

إلا أن ما شد اهتمامي في مسار الدكتور موسى الأكاديمي، أنه كان مساراً

أكاديمياً يتفاعل معه بكل جوارحه، حتى إنه كان ينأى عن تولي المناصب الإدارية الأكاديمية التي تأهل لها بجدارته، وكان جل ما قبله من مناصب هو رئيس قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، ولم يقبل مناصب أعلى في الجامعة أو خارجها. وتواترت علاقات الدكتور موسى بصديقه أخي مخلوف في الجامعة الأميركية ببيروت، وتعاوننا في البحوث وفي الإشراف على طلاب كانوا يبتغون الدراسات العليا في ميدانها يؤدونها في الجامعة الأميركية ببيروت. وأمضى الدكتور موسى سني الإجازة الأكاديمية من جامعته الأردنية ليجري البحوث في دائرة الكيمياء بالجامعة الأميركية في بيروت.

وقد اعتلى الدكتور موسى المكانة المرموقة بين الباحثين في الكيمياء العضوية، تشهد له أبحاثه المنشورة في المجالات العلمية المحكّمة، ويشهد له بدمائه الخلق وروعة الأداء الأكاديمي كل من عرفه من زملائه وهم كثر. إلا أنه بعد تقاعده قَبِل أن يخدم في مجالس أمناء الجامعات التي أحب، وأن يثري نقاشها العلمي ويعطي تلك الجامعات من ذوب نفسه.

ومثلما تسلم في جامعة هارفرد كتاباً من سطرين عام 1965 من الجامعة الأردنية، يعلمه أن مجلس الأمناء قرر تعيينه مدرساً فيها، وذلك دون مقابلة أو تصديق شهادات أو معادلتها، تسلم بعد قرابة نصف قرن من خدمتها رسالةً بعدد مماثل من الأسطر تعلمه أنه قد انتهت خدمته في الجامعة. ويصف ذلك الدكتور موسى بقوله: «بعد سبع وأربعين سنة بالتمام لا ينقصها يوم واحد ولم يتخللها عمل في أي جامعة أخرى، وفي السابع من أيلول 2012 خرجتُ أحمل رسالة لا تزيد كلماتها عن سطرين وما صرف في حبرها يوازي تماماً ما صرف في مضمون البرقية التي أتت بي من هارفرد إلى المكان، خرجتُ أحملُ الرسالة كشهادة خروج تنطق بأن التنظيمات والتشريعات التي وُضعت لتطوير الجامعة وتجديد شبابها وبناء مستقبلها تُقرر أنني لم أعد عضو هيئة تدريس، فقد نفذت الصلاحية وأصبحت البضاعة غير صالحة

للاستهلاك البشري، فاتجهت إلى واحدة من البوابات العديدة التي تحكم الحركة عبرها منافذ إلكترونية وتتدفق من خلالها سيول من الطاقات الشبابية، أدعوا الله أن تتحقق أحلامها، كما تحققت بعض أحلامي فيما أراه، ناظراً ورأيي بالتخرج منتظراً أن يسمح لي منفذ إلكتروني بالخروج، بل عفواً بالتخرج... فالإنسان لا يخرج من موطنه، بل يتخرج فيه، إذ ينمو مع أشجاره وحجارته ويتعلم ممن كان يعلم. وهكذا دخلت بسطرين وخرجت بسطرين».

ولعل جملة أهداها مَنْ كان يعلمهم الدكتور موسى الناظر، في احتفال بسيط بمناسبة تقاعده مكتوبة بالإنجليزية على بطاقة حلوة يحفها برواز حلو، تلقي الضوء على امتنان كافة هؤلاء بما تعلموا على يديه، تقول جملة الهدية:

Every Body Sees How You Seem

However

Only Some Know Who You Are

علّنا جميعاً نعي من هو الدكتور موسى زهدي الناظر، بوركت حلحول المدينة التي أنبتته في قضاء الخليل، وأسكن الثدي الذي أرضعه جنان الخلد.

ومن طرف عائلتنا فنحن نفخر إذ نشير للدكتور موسى بالدكتور موسى الناظر الحدادين، حفظه الله وأطال مقامه بيننا، فهو حقاً ثروة علمية تزينها أخلاقه العالية وخبرته الواسعة، إنه الولي الحميد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شهادة بالعالم الأستاذ موسى زهدي الناظر

أ. د. علي مفلح محافظة⁽¹⁾

سمعت عن الدكتور موسى الناظر بعد تعييني عضواً في هيئة التدريس في الجامعة الأردنية سنة 1971. كان الدكتور موسى من أساتذة كلية العلوم المعروفين والمبرزين من الذين يشار إليهم بالبنان. وكان العاملون في الجامعة الأردنية في عقد السبعينات من القرن الماضي يلتقون يومياً في نادي الجامعة الذي حل محل مبنى مكتبها الأولى، ويقع إلى الغرب من مبنى رئاسة الجامعة آنذاك، وحيث يوجد اليوم مركز الدراسات الاستراتيجية.

كان عدد أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعة قليلاً، وكان من عاداتهم التردد على النادي لتناول الشاي أو القهوة والحديث مع زملائهم في موضوعات عديدة ومنها مشكلات أقسامهم وكلياتهم في أوقات فراغهم. وكان يعرف بعضهم البعض الآخر. والواقع أن هذه اللقاءات في النادي لم تتح لي فرصة معرفة الدكتور موسى عن قرب.

والتقيت به بعد تقاعدنا من العمل في الجامعة الأردنية قبل سنوات في مكتب صديقنا المشترك معالي الأستاذ الدكتور كامل العجلوني في المركز الوطني للسكري بعمّان. وضم هذا اللقاء بالإضافة إلينا نحن الثلاثة الأستاذ الدكتور محمد

(1) أكاديمي ومفكر وسياسي أردني، حاصل على دكتوراه دولة في الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة السوربون الأولى باريس 1980.

عدنان البخيت، لمناقشة موسوعة الدكتور كامل العجلوني الطبية «تاريخ الطب الحديث في الأردن وفلسطين منذ القرن التاسع عشر».

وتكررت لقاءاتنا بالدكتور الناظر في مكتب الدكتور العجلوني فأعجبت به وبأسلوب عرضه لأفكاره، وبعلمه الغزير، وبثقافته الواسعة والثرية، وبملاحظاته السديدة، وزاد إعجابي بهدوئه وتواضعه وميله نحو التسهيل في بسط الأمور ومناقشتها، وقد أدهشني إمامه الثري بلغتنا القومية، ومعرفته العميقة بها، ودقته في التعبير، وتبحره في المصطلحات العلمية، وقد أفدت حقاً من هذه اللقاءات التي جمعتني به.

وكان من حسن حظي أنني انتخبت بعده مباشرة عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية الأردني قبل سنوات، فأتيح لي اللقاء به في جلسات مجلس المجمع ولجانه، وسماع آرائه ومدخلاته في تطوير المجمع وتحسين أداؤه، وفي عرض الحلول لمشكلاته، فكان عضواً فاعلاً ونشطاً ومؤثراً في المجمع، وحريصاً على حضور جميع جلساته ونشاطاته.

لا شك أن الدكتور موسى الناظر من علمائنا المميزين في الكيمياء، ويتمتع بسمات العلماء الكبار، بتواضعه وسمو أخلاقه ورقة حاشيته وخدماته الجليلة لوطنه من خلال تدريسه لأجيال من الشباب والشابات الأردنيات طوال عمله في الجامعة الأردنية، وساهم هؤلاء الشباب من خريجي كلية العلوم في بناء بلدهم وفي بناء العديد من الأقطار العربية الشقيقة. وما زالت ألسنتهم تلهج بالثناء عليه والاعتراف بفضله وجهوده العظيمة. وساهم في تأليف الكتب والبحوث العلمية في ميدان الكيمياء في المجلات العلمية المحكمة، وتجاوز في هذا المجال التأليف في الكتب والبحوث العلمية إلى تأليف الكتب المدرسية في العلوم.

واختير عضواً في مجالس أمناء جامعات أردنية، وعضواً في اللجنة العليا للبحث العلمي في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، وقد أشرف على عشرات

رسائل الماجستير والدكتوراه في الكيمياء، وعمل عضواً في لجنة معادلة الشهادات التابعة لوزارة التعليم العالي، وفي لجان منح الجوائز العلمية للباحثين والمعلمين، وأعد أبحاثاً ودراسات لمؤسسات وطنية وعربية ودولية.

وهو بهذا كله عالم جليل نفخر به ونعتز.

«العالم والباحث الإنسان موسى الناظر»

أ. د. محمد عدنان البخيت⁽¹⁾

الأستاذ الكبير الدكتور موسى الناظر حفظك الله

الأستاذ رئيس الجلسة المحترم

السيدة فالتينا قسيسية المحترمة

الحضور الكريم

تتناول مداخلتني هذه الدور الكبير والتميز الذي نهض به الزميل موسى الناظر في دعمه مسيرة البحث العلمي في الجامعة الأردنية مدة عملي عميداً للبحث العلمي في الجامعة الأردنية من 7 / 2 / 1984م - 14 / 8 / 1989م، وذلك من خلال عضويته في هيئة تحرير مجلة دراسات⁽²⁾ المحكمة التي كانت تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الأردنية بمعدل عشرين إلى ثلاثة كل عام وأصبحت تصدر بمعدل عدد كل شهر وتحولت من مجلة عمومية إلى مجلة متخصصة وتم اكتشاف هذه المجلة وبلغ عدد الأعداد الصادرة خلال مدة عمادتي (54) عدداً ومجموع صفحاتها (12.291) صفحة⁽³⁾.

(1) رئيس مجمع اللغة العربية الأردني.

(2) ضمت الهيئة ثلاثة عشر عضواً كل عضو يمثل كلية، بالإضافة إلى عميد البحث العلمي.

(3) يسرني أن أشكر الزميل الدكتور عمر الغول مدير مكتبة جامعة اليرموك وزملاءه الذين

قاموا بمراجعة مجلة «دراسات» المحفوظة لديهم وزودونا بهذه الإحصاءات.

السنة	المجلد	مجموع الأعداد	مجموع الصفحات
1984م	الحادي عشر	5	1.195
1985م	الثاني عشر	12	2.663
1986م	الثالث عشر	12	2.847
1987م	الرابع عشر	12	2.473
1988م	الخامس عشر	12	2.868
1989م	السادس عشر	1	245
المجموع	6 مجلدات	54 عدد	12.291 صفحة

وهذا يعني أن جلسات هيئة تحرير المجلة كانت شبه أسبوعية، وكنا جميعاً في الهيئة نسترشد بحكمة الدكتور موسى الناظر ورؤيته في مناقشة مشاريع البحوث المقدمة للدعم إذ كان يدرسها بدقة ويصرّ على قراءة تقارير المقيمين كاملة ولا يكتفي بتوصياتهم.

وفي عام 1989م شكلت وزارة التعليم العالي والبحث العلمي لجنة من عشرة أساتذة من الجامعة الأردنية بالإضافة إلى السيد حامد الزغول أمين سر المجالس في الجامعة لدراسة أوضاع البحث العلمي في مؤسسات التعليم العالي الأردنية 1962-1989م في الجامعات الأربعة وهم:

أ. د. محمد عدنان البخيت	رئيساً
أ. د. موسى الناظر	أ. د. محمد عصفور
أ. د. سامي خصاونة	أ. د. نعيم شرف
أ. د. عبد الله العبادي	أ. د. سليمان شرف
د. منيف حجازي	الدكتور وليد الترك
السيد حامد الزغول	

على أن تشمل الدراسة الإنتاج العلمي في أربع جامعات: الجامعة الأردنية
وجامعة مؤتة وجامعة اليرموك وجامعة العلوم والتكنولوجيا.

وتناولت الدراسة التحليلية الحقول التالية:

الهندسة والتكنولوجيا

العلوم الطبية

العلوم الأساسية

الزراعة

العلوم الاقتصادية

العلوم الإنسانية - الآداب والحقوق والشريعة.

العلوم الإنسانية - التربية والتربية الرياضية.

درست اللجنة مهام عمادات البحث العلمي في هذه الجامعات مع بيان عدد
المراكز البحثية وعدد المؤتمرات والمجلات العلمية والتفرغ العلمي، وكانت
مساهمة الدكتور موسى بحثاً بعنوان: «دراسة أوضاع البحث العلمي في العلوم في
مؤسسات التعليم العالي» (ص 145-168).

وجاءت الدراسة التي تجاوزت الخمسمائة صفحة قام الدكتور موسى
مشكوراً بقراءتها من جديد واختزالها في 325 صفحة.

وتولى المجلس الأعلى للعلوم والتكنولوجيا سنة 1997 م طباعة هذه
الدراسة الواسعة والشاملة⁽¹⁾.

(1) الطبعة الأولى، الجمعية العلمية الملكية، عمان 1418 هـ / 1997 م.

بحوث ودراسات مقدمة للجامعة الأردنية في عيدها الخمسين⁽¹⁾

شكل رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور اخليف الطراونة سنة 1426 هـ/ 2015 م، لجنة من «محمد عدنان» البخيت وموسى الناظر ونائب الرئيس الإداري لتحرير بحوث علمية حول مسيرة الجامعة وإنجازاتها في خمسين عاماً، كان عددها 19 بحثاً جاءت في (564) صفحة.

وجاءت مساهمة الدكتور موسى الناظر بعنوان: «الجامعة الأردنية والدراسات العليا طريقتها للتطور وعدتها للمستقبل»، ص 165 - 189.

«ولد في الجامعة منذ 1968 م ما ينوف عن مائة وخمسين برنامج ماجستير وما يقارب أربعين برنامج دكتوراة» حلل واقع هذه الدراسات في ضوء عدم تفرغ الطلاب. والجدير بالذكر أن زهدي ابن الدكتور موسى قد صمم شعار المناسبة.

موسى الناظر وعضوية مجمع اللغة العربية الأردني

انتخبت الهيئة العامة لمجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ 2019/2/24 م الدكتور موسى الناظر عضواً عاملاً في مجلس مجمع اللغة العربية الأردني ويشارك الآن في عضوية اللجان التالية:

لجنة مصطلحات العلوم الأساسية والتطبيقية من تاريخ 2019/3/31 م حتى الآن.

لجنة اللغة العربية والتكنولوجيا 2019/3/31 م حتى الآن.

لجنة التأليف والترجمة وتحقيق التراث في تاريخ 2021/9/7 م حتى الآن.

لجنة مراجعة أجزاء المعجم التاريخي للغة العربية في تاريخ

(1) «بحوث ودراسات مقدمة للجامعة الأردنية في عيدها الخمسين»، تحرير «محمد عدنان» البخيت، وموسى الناظر، ونائب الرئيس الإداري وفاء الخطيب، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، 2015 م.

2022/11/27 م.

ومساهماته تدل على سعة درايته وذكائه الصامت وهو دقيق التعبير وصاحب أسلوب سلس يدل على تمكنه من ناصية اللغة.

الدكتور موسى الناظر؛ العالم الإنسان

أ. د. سلطان أبو عرابي العدوان⁽¹⁾

أيها الحفل الكريم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد،

وقبل أن أبدأ بإلقاء كلمتي أرجو أن أتضرع لله جل وعلا أن يتغمد شهداء أهلنا في غزة والمدن الفلسطينية بواسع رحمته، وأن يجبر على قلوب ذويهم وعائلاتهم إنه نعم المولى ونعم النصير، ومن على هذا المنبر ومن منطلق دوري ورسالتي، فإنني أستنكر وأشجب ما يتعرض له الأهل من الشعب الفلسطيني الأعزل؛ من قتل وتشريد وعدوان همجي لا يعرف أي معنى للإنسانية ولا العهود ولا المواثيق ولا القيم، فاللهم كن مع أهلنا وانصرهم واربط على قلوبهم، اللهم أمين.

أيها الأخوات الفاضلات

أيها الإخوة الأفاضل

للعلماء في تاريخ الأمم والشعوب منزلة رفيعة، استحقوها بجدارية لما حباهم الله به من علم ومعرفة واطلاع قاموا بتوظيفه في إعلاء كلمة الله وخدمة الأمة من خلال تربية النشء وإعداده إعداداً سليماً وإحاطته بأمور دينه ودنياه،

(1) رئيس جامعة تيشك الدولية/ أربيل/ العراق، رئيس جامعة اليرموك ورئيس اتحاد الجامعات العربية سابقاً.

فالعلماء المخلصون هم مصابيح الدجى ونجوم الهدى الذين بهم نفتدي، هم رُبَّان سفن النجاة، وهم الأمان من عذاب الله، هم حماة الدين وناشرو الفضيلة، يجمعون أصحاب الهوى وأهل الغواية والضالين، ويرشدون الحائرين والتائهين، وينيرون الدروب للسالكين، بهم تصفو الحياة، وتزكو النفوس.

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها متى يمتم عالم فيها يمتم طرفُ
كالأرض تحيى إذا ما الغيثُ حلَّ بها وإن أبى عاد في أكنافها التلفُ

إن احترام جلال الموقف، يحتم علينا أن نكتب كلمات مدادها الوفاء والصدق في حق أخ كبير وعالم جليل وأكاديمي أعطى للتدريس الجامعي هيبة ووقارا وحكمة وإدارة حصيفة وفكرا نبيرا وعطاء لا حدود له وانتماء صادقا للمكان والزمان. وهكذا هو الأستاذ الدكتور موسى الناظر العالم الإنسان ورجل المروءة والمتواضع الذي غمر الناس بلطف معشره وعفة لسانه وجود نفسه الذي ما عرف يوما إلا العطاء في مهنته التي أحب.

أيتها الأخوات الفاضلات

أيها الإخوة الأفاضل

الأستاذ الدكتور موسى الناظر، لم أجد في تناولي لسيرته ومسيرته خيراً من قوله تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» منطلقاً للوقوف على وصف فيه من الإحاطة والشمولية لتغطية جوانب متعددة ومتميزة في حياة هذا العالم الأردني الذي استطاع كتابة اسمه بأحرف من نور فوق خارطة الإنجاز، ليس على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى العالمي؛ بأبحاثه وخبراته ما أهله لأن يكون في مقدمة الأكاديميين الأردنيين وفي طليعتهم، بما قدمه من أبحاث علمية أفادت وستفيد الأمة في سعيها الحثيث إلى الرقي والتقدم العلمي. في حياة كل منا ثمة أسماء تشكل جزءاً من تاريخنا وسيرة حياتنا نظراً

لحضورها المؤثر فينا من جانب، وقياسًا على ما تمكنت من إحداثه في المجتمع من نقلة علمية ومعرفية واسعة في مجال علومه وخبراته التي عرف كيف يقوم بتوظيفها في خدمة الإنسان وإسناد جهود تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، ومثل هؤلاء حري بنا أن نُبقي على ذكرهم وقصّ تجاربهم؛ لما فيها من دلالات وقيم أرى أننا بأمس الحاجة إليها في هذه الآونة من تاريخ الأمة، فالقدوة والنموذج الحسن طريق يجب أن يسلكه أبنائنا وبناتنا إذا ما أرادوا أن يطالعوا تاريخ أوطانهم، ومما لا شك فيه أن العلماء هم الفئة الأكثر تأثيرًا في محيطهم، وهؤلاء يجب أن يكونوا نموذجًا يحتذى به، وعندما أتحدث عن الأستاذ الدكتور موسى الناظر فإنه واحد من أبرز العلماء الأجلاء البررة الذين ساهموا في إنشاء جيل كبير من المتعلمين علمًا جادًا أثرى مسيرة بناء الدولة الأردنية بكل ما عُرف عنه من حكمة وعلم وفهم وخبرة ودراية.

نعم كان الناظر أستاذًا جامعيًا لا يُشَقُّ له غبار، ولقد أدرك مبكرًا أهمية الرسالة المناطة في عنقه، وعرف كيف يوظف علمه في بناء جيل متمتع بشخصية متكاملة الجوانب الأدبية والأكاديمية والثقافية، ولقد عرفت الناظر أستاذًا مؤمنًا بأن دور الأستاذ الجامعي يعتبر ركيزة مؤثرة وأساسية في عملية البناء المعرفي والتربوي، حيث إنه الذي يغرس مفاهيم وطرق التفكير العلمي والمنهجي في أذهان الطلبة، وكيفية التعامل مع حل المشكلات التي قد تواجههم خلال مسيرتهم الدراسية والعملية والاجتماعية، ليتم وضع أنجع الحلول لها بوعي وفهم وإدراك ودون تسرع أو انفعال. وكان الناظر يؤكد على الدوام بأن موقع الأستاذ الجامعي يأتي في مركز الدائرة وأن الطلبة موزعون على محيطها لتكون المسافة بين أي نقطة على محيط الدائرة ومركزها واحدة، فالطلبة كلهم أبنائه ولا يبخل بتقديم عصارة فكره وخبراته للجميع.

تعود بي الذاكرة إلى خمسة وخمسين سنة مضت وتحديدًا إلى العام 1969،

عندما دخلت الجامعة الأردنية طالباً أشق طريقي نحو مستقبل يكون لي فيه شأن مع الحياة ورسالة، فالتحقت بكلية العلوم، ولمّا أكملت السنة الأولى أنهيت دراسة عدة مساقات في الفيزياء والكيمياء والعلوم الحياتية والرياضيات، وكنت - بحمد الله وتوفيقه - أحصل على علامات مرتفعة بين الطلبة وعلى الأخص في مواد الرياضيات، بينما كانت أقلّ علاماتي في مادة الكيمياء وهو التخصص الذي قررت أخيراً دراسته رغم عدم تفكيري بذلك مسبقاً، وأنداك كان الأستاذ الدكتور موسى الناظر (موضوع الحديث) أحد أساتذة قسم الكيمياء ورئيساً لهذا القسم، ومن بناء الجامعة الأردنية الأوائل، وأحد أعمدتها الباسقة، وكان منهم أيضاً شبلي بيوك، سليم حداد، عادل جرار، سليم صبري وغيرهم مع حفظ الألقاب، ممن أكن لهم المحبة والتقدير والعرفان لعطائهم الكبير.

كما أسلفت، فإن الإنسان في حياته يبحث دائماً عن يؤثر ويتأثر به فيتخذ من نصحه له مساراً يلتزم به ويعرف أن المقتدى به إنما يريد مصلحته ومستقبله، ولا أنكر أنني أعجبت بأستاذي الدكتور موسى الناظر، وشعرت برغبته بأن أدرس الكيمياء وهكذا كان، ففي حديثه كنت أشعر أنه أب وأخ وموجه يتكلم عن خبرة ومعرفة، ومع مرور الوقت أدركت عمق ومدلولات نصح الناظر لي ولغيري بدراسة الكيمياء، وأصبحت أعشق ذلك التخصص الذي كانت لي معه سنوات طويلة، سافرت خلالها في عدة دول حتى حصلت فيه على درجة الدكتوراه من أرقى الجامعات العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكنت كلما تحدثت مع الناس هناك من أساتذة جامعات وأصدقاء ومعارف، أذكر لهم الأستاذ الدكتور موسى الناظر، وكيف أنه لعب دوراً كبيراً في تحويل اهتمامي لدراسة الكيمياء، وكان هذا فخراً عظيماً لي، خاصة عندما كانت سمعة الدكتور موسى قد وصلت إلى أقاصي الدنيا، فلمست أهمية أن يكون للإنسان حضور إيجابي ذائع الصيت.

إنه لمن الصعب على المتحدث أياً كان أن يختصر الحديث عن قصة علمية

وإنسانية بحجم الأستاذ الدكتور موسى الناظر في عجلة أو في حدود صفحات محدودة، ذلك أن سيرة حياة هذا الرجل تنشط إلى عدة أجزاء وتحت كل جزء منها عناوين ولا أقول عنواناً واحداً، فهو يجسد قيمة اعتبارية، تركت في كل من عرفها وأنا واحد منهم أثراً خاصاً منذ أن عرفته منذ أكثر من نصف قرن من الزمن، فجاءت ترجمة لمعنى الوفاء، وروح الصداقة، ونعمة الإيثار، وصدق الإيمان وصوابية الموقف، فالدكتور الناظر عالم جليل وقدراته العلمية رفيعة الشأن عديدة، ومآثره التي تشهد على هذه القدرات، قائمة ومتناثرة على مساحات واسعة من الوطن العربي والعالم، ففي كل جامعة له مآثر تُذكر وفضائل لا تُنكر، وأياد تعدد ولا تستكثر.

إن الحديث عن الأستاذ الدكتور موسى الناظر هو حديث عن شخصية وطنية فذة، واعية، ومفعمة بالإنسانية، يملك فكراً نيراً، نزيهاً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وهو صاحب نهجٍ علمي واضح، نعيش به الأمل بأن نرى وجوهاً تخدم مصالح الوطن وتساهم في نهضة المجتمع الأردني ضمن مختلف الأصعدة، يتوجب علينا أن نشيد بها ونشكرها لما قدّمته وتقدمه للوطن، ولا أغالي بذلك؛ فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله، وبملاء الفم نقول للدكتور موسى شكراً وألف شكر، فقد قدمت للوطن وللأمة علماء وطلبة تخرجوا من تحت يديك الكريمتين على أكمل درجات العلم والخبرة والكفاءة، فكانوا المؤهلين لإسناد جهود تعزيز التنمية والإعمار في ربوع وطننا الغالي كما في بلدان عربية شقيقة وأجنبية صديقة، وفي هذا الصدد لا بد من ذكر أن هنالك المئات بل الآلاف من الخريجين من أساتذة الجامعات خاصة ممن تعلموا على يدي الناظر في الجامعة الأردنية، قد أثبتوا جدارة واستحقاقاً، ومنهم من تولى مناصب قيادية وإدارية في الدولة وحققوا نجاحات عظيمة، ومثلهم الكثير ممن شقوا طريقهم للعمل في جامعات عربية ودولية عالمية، وكانوا خير سفراء لوطنهم، ولأستاذهم وأستاذنا الدكتور موسى الناظر.

وفي هذا الصدد لا بد لي وأن أعرج على ما كان يتميز به الأستاذ الدكتور

موسى الناظر من صفات تحلى بها كأستاذ حظي بمحبة كل من عرفه من الطلبة وأبناء المجتمع المحلي، فقد كان أستاذاً جسد في أسلوبه الراقى في التدريس، حقيقة كيف يكون الأستاذ قدوة وأخاً ومحاوراً وأباً وصديقاً للطلبة، فقد كان بشوش الوجه، معطاءً، يألفه كل من يتحدث معه، وكان يتكلم معنا نحن الطلبة آنذاك بمنتهى البساطة والطيبة والوضوح، وكان على أتم الاستعداد لشرح وتوضيح مسائل الكيمياء وموضوعاتها المتشعبة، ويعيدها أكثر من مرة ولا يكمل ولا يمل، وكان يستقبل الطلبة في مكتبه وفي منزله ويشعر أن وقته كله ملكاً لهم.

أيها الحفل الكريم

لقد تحلى الأستاذ الدكتور موسى الناظر بنظرة إيجابية للأمر وعمل على غرس ذلك في نفوس طلبته، إيماناً منه بأن العلاقة بين الأستاذ الجامعي والطلبة لا يجب أن تقتصر على القاعات الدراسية والمختبرات أو شرح حالة مرضية أو حل مسألة رياضية أو توضيح معادلة كيميائية مع أهمية كل ذلك، وإنما تمتد لتخصيص جزء حقيقي من وقته للإرشاد التربوي للطلبة، وأن يتفاعل معهم عند طرح مشاكلهم وعليه أن يساعدهم في حلها مباشرة ودون تأجيل، وبصورة علمية دقيقة ومدروسة؛ لأن تأجيلها قد يؤدي إلى تراكمات سلبية كثيرة.

ومن مزايا الدكتور موسى الناظر أنه علمنا حقيقة مفادها أن على الأستاذ الجامعي أن يؤدي دوره الأبوي والتربوي تجاه الطلبة وتعديل سلوكهم في جميع جوانب حياتهم ومساعدتهم في بناء شخصيتهم السوية والمتوازنة، وأن ينظر إلى الطلبة نظرة الأب موجهًا ومرشدًا، وأن لا يجعل من العقوبة هدفًا بقدر ماهي توجيه تربوي خالص، مما يستوجب تفعيل دور الإرشاد الأكاديمي والتربوي لأبنائنا الطلبة أولاً قبل أن نتخذ إجراءات العقوبات التي تمارس من قبل البعض أحياناً بأسلوب انفعالي بعيداً عن الغاية التربوية التي يجب أن تصب في تقويم السلوكيات الخاطئة بأسلوب تربوي متوازن.

صفات متفردة في شخصية الناظر

لقد أحب الدكتور الناظر وطنه وأمه العربية حباً جماً، وتميز بصفات تفرّد فيها عن الكثيرين من سواه، ولعل المطالع لسيرته الطويلة التي بدأها في رحاب الجامعة الأردنية منذ العام ألف وتسعمائة وخمسة وستين كعضو هيئة تدريس، يقف على حقيقة عظيمة حيث إنه وطيلة عمله في التدريس الجامعي فإنه لم يدرّس في أي جامعة غير الجامعة الأردنية، باستثناء سنوات التفرغ العلمي (1974، 1980، 1996، 2001) التي قضاها في الجامعة الأمريكية في بيروت لإجراء أبحاث علمية متخصصة، والدكتور الناظر لم يتقلد طيلة حياته مناصب إدارية سوى رئاسته لقسم الكيمياء في الجامعة لمدة عشر سنوات بعدما قام بتأسيسه، حيث انصب جهده على إجراء الأبحاث العلمية المتخصصة في الكيمياء العضوية التي تعتمد على المركبات التي لها جوانب طبية، وقد قام بنشر العشرات من الأبحاث العلمية فضلاً عن قيامه بنشر العديد من الدراسات المتخصصة.

واليوم نستذكر حجم الجهد الكبير الذي قام به الناظر في رفعة وتعزيز وتطوير مسيرة التعلم العالي في الأردن، وفي مكان ذهب للعمل فيه وإن كان معظم سنوات عمره في الأردن، فقد طاف هذا العالم الجليل بقاعاً واسعة من العالم قاصداً نشر العلم والمعرفة؛ باحثاً ومدرّساً ومحاضراً، فكانت له بصماته التي لا يمكن القفز عنها في جامعات عالمية مرموقة مثل جامعة هارفرد وغيرها.

إن الأستاذ الدكتور موسى الناظر كان شاهداً على مسيرة وطن اسمه الأردن عبر نافذة أولى الجامعات التي تأسست في المملكة الأردنية الهاشمية، وأعني بها بطبيعة الحال الجامعة الأردنية، ففيها أسس قسم الكيمياء وكان رئيساً له، كما كان عضواً في مجلس كلية الطب التأسيسي، وقام بتأليف كتب العلوم والكيمياء للمدارس الأردنية وللمدارس في المملكة العربية السعودية، كما كان عضواً في مجلس المنظمة الدولية للكيمياء من أجل التنمية/ فرع تعليم الكيمياء، كما كان

مستشاراً في تأسيس المختبرات الكيميائية في عدد من الجامعات الأردنية، كما كان رئيساً للجنة الوطنية للإشراف والتوجيه على تأليف كتب الكيمياء، وكان لي الشرف أنني عملت معه في هذه المهمة لإعادة تأليف كتب الكيمياء بما يتناسب مع الجديد من الاختراعات والاكتشافات الحديثة في هذا المجال، وفي سيرته أنه كان عضواً في لجان إعداد قوانين وأنظمة العديد من الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة، وتجهيز المخططات لإنشائها ولوازم مختبراتها.

الخبرات التي اكتسبها الأستاذ الدكتور موسى الناظر جعلته موضع اهتمام الجامعات خاصة، عندما تم تشكيل مجالس أمنائها، حيث كان عضواً في أكثر من مجلس أمناء، وكان لي الشرف بأن كان الناظر عضواً في مجلس أمناء جامعة اليرموك عندما كنت رئيساً لها، كما كان عضواً في اللجنة العليا للبحث العلمي (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي) وكذلك لجان اعتماد الجامعات، ولجان معادلة الشهادات، ولجان منح الجوائز العلمية للباحثين والمعلمين (مؤسسة شومان، أكاديمية العالم الثالث للعلوم، جوائز وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، كما قام الناظر بإجراء دراسات وأبحاث لمؤسسات وطنية وعربية ودولية (مركز تنمية الموارد البشرية، اليونسكو، البنك الدولي، المنظمة العربية للتدريب والثقافة، الاتحاد الأوروبي، الجامعات العراقية، اتحاد الجامعات العربية، اتحاد الكيميائيين العرب)، يضاف إلى ذلك أنه كان وطيلة مسيرته العلمية حريصاً على توظيف خبراته وعلومه ومتابعة آخر ما يستجد خاصة في حقل الكيمياء، حيث قام بحضور العشرات من المؤتمرات المتخصصة التي عقدت في دول عربية وأجنبية، وكانت مشاركاته فاعلة بأوراق بحثية تخدم أهداف ومسيرة التنمية في الوطن العربي، وفي هذا الصدد من العضويات والحضور فإن لدينا الكثير مما لا يتسع المقام لحصره.

وسام الحسين للعطاء المميز

في المملكة الأردنية الهاشمية فإن تكريم العلماء سنة ملكية هاشمية حكيمة،

وفي هذا الصدد أعود بالذاكرة إلى العام ألفين وتسعة حيث كنت سعيداً جداً عندما تفضل جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين بالإععام على الأستاذ الدكتور موسى الناظر بوسام الحسين للعطاء المميز من الدرجة الأولى؛ تقديرًا لعطائه وخدماته الجليلة وجهوده المتواصلة في ميادين التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، وكان ذلك تكريمًا مستحقًا، ما زلت أستذكر كلمات الأستاذ الدكتور موسى الناظر الذي عبر عن تقديره لجلالة الملك معتبرًا أن التكريم إنما هو وسام للجامعة الأردنية وحافزًا لأعضاء هيئة التدريس للمضي في خدمة الدولة وتحقيق وإنجاز المزيد من الأبحاث العلمية للإسهام في دفع مسيرة الجامعة والوطن للأمام وخدمة أبنائنا وبناتنا من جيل الشباب الدارسين في الجامعات الأردنية والعربية.

لقد أحب الأستاذ الدكتور موسى الناظر أبناء الطلبة، فبادلوه الحب بالحب والوفاء بالوفاء، وهو اليوم يؤمن بالقدرات والكفاءات التي يتمتع بها أبناء الجيل الجديد، ولقد عبر عن ذلك في حديث سابق له عندما أشار إلى أن الطلبة اليوم لديهم الطاقات والإمكانيات بالنظر لتوفر وسائل العلوم المعرفية التي أفرزتها ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ولكنه في الوقت نفسه يشعر بالحزن عندما يرى أن هناك فئة لا تحسن التعامل مع الوقت واستثماره بالطريقة المثلى، وعليه فإنه ما انفك يدعو في جميع المناسبات التي يحضرها أو يشارك بها إلى أن يكرس الطلبة جُل أوقاتهم بالبحث العلمي وزيادة خبراتهم، كما أنه يؤكد على ضرورة العمل على توسيع مداركهم وآفاقهم في مجال تخصصهم لكي يستطيعوا التأثير في وطنهم ومجتمعهم مستقبلاً عندما ينتقلون من رحاب الجامعة إلى رحاب الوطن.

هذا القليل من الكثير الذي في جعبتي عن أستاذي وزميلي الأستاذ الدكتور موسى الناظر العالم والإنسان والأستاذ، والذي حُقَّ له أن يُحتفى به في هذه المؤسسة الوطنية الفاعلة والمؤثرة في المشهد الأردني (مؤسسة عبد الحميد شومان)، وأحسب أن سمعة ومكانة الدكتور موسى الناظر قد طبقت الآفاق وذاع

صيته فنال ثقة وتقدير عامّة الناس وخاصّتهم، وكم أنا فخور بأبني أتكلم في حضرته وفي حضرتكم أيتها الأخوات وأبها الإخوة لتكريم قامه علم وعز وثقافة ونخوة وشهامة بحجم الدكتور موسى الناظر.

إن الحرص على توثيق سيرة ومسيرة العلماء لهو أمر غاية في الأهمية، لأن تجارب العلماء هي أيضاً جزء من تاريخ الدولة، فالسياسي والأستاذ ورجل القوات المسلحة، والمهندس، والطبيب، كلهم رجال كانوا رجالاً مخلصين، وجميعهم كانت لهم أيادهم وإسهاماتهم في مسيرة النهضة والتقدم التي شهدتها المملكة الأردنية الهاشمية؛ سواء في عهد المغفور له الملك الحسين بن طلال إلى عهد جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين، ونحن نؤمن أن حفظ تاريخ هؤلاء يصبح في مرحلة ما جزءاً من تاريخ الدولة، ومن حق الأجيال أن تطالع مذكرات وحكايات وإنجازات رجالات الدولة السياسيين والأكاديميين والأطباء وغيرهم، حتى يتعرف شبابنا اليوم على الظروف والتحديات التي مرت بها المملكة حتى استطاعت تحقيق المكتسبات في مختلف ميادين الحياة، ولعل الأستاذ الدكتور موسى الناظر أحد أبرز هؤلاء العلماء البررة الذين كانت لهم بصماتهم التي لا يمكن القفز عنها إذا أردنا الحديث عن النموذج والمثال والقُدوة، وفي مثل هذه اللقاءات التي تعقدها مؤسسة عبدالحميد شومان حري بنا الإشادة والتقدير والثناء لكل جهد بناء يهدف إلى حفظ إرث علماء الأردن الكبار.

إن مؤسسة عبد الحميد شومان باتت رائدة في كل ما هو جديد وراقي ومتميز في الأنشطة والفعاليات، ولقد عرفت كيف تصبح رمزاً ثقافياً وتنموياً وطنياً، إذ كانت لها تجارب غنية وما زالت تعمل جاهدة على ترجمة مضامين رسالتها التي تقوم على أهمية المشاركة المجتمعية وبدورها في تمكين المجتمعات من امتلاك رؤيتها وطريقها نحو المعرفة، وهنا لا بد من الشكر والثناء لهذه المؤسسة والتي قدمت وما زالت تقدم الكثير من الأنشطة والفعاليات المحلية والدولية، والشكر موصول هنا لمديرة المؤسسة السيدة الفاضلة فالتينا قسيية.

الأستاذ الدكتور موسى الناظر

وفي الختام أسأل الله لكم طول العمر، وأن يرفلكم الله برداء الصحة والعافية ويبقيكم عالمًا جليلاً وإنساناً وقوراً عفيفاً خلوفاً متواضعاً لم يعرف التكبر ولا الحقد ولا الضغينة في حياته أبداً، واليوم أقول لكم بكل إجلال وإكبار: شكرًا لكم ولعظيم عطائكم، ولعمري إن ما قدمتموه من علم نافع ومعرفة مفيدة، ستبقى علامات مضيئة ودلالات مشرقة في تاريخكم، وستتذكر الناس والطلبة كبارًا وصغارًا أنكم كنتم رمز العطاء ولم تبخلوا يوماً بمشورة ولا برأي، ولطالما أثريتم بحواراتكم جلسات الحوارات واللقاءات والمنتديات والمؤتمرات ومراكز البحث العلمي، وكل ذلك في ميزان أعمالكم الذي سيرفع به الله شأنكم.

أيها الحفل الكريم

أشكركم لحسن استماعكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

البروفيسور موسى الناظر: الإنسان

أ. د. رنا الدجاني⁽¹⁾

تُبنى الثقافة والحضارة على أيدي البشر، وهؤلاء البشر متشابهون في جميع أنحاء العالم. إن هيمنة مجموعات معينة من الناس تجعلنا غير واثقين من شعوبنا، مما يجعل كسر هذه الحلقة أمراً مهماً لأسباب عديدة، أهمها تعزيز الثقة في أنفسنا وفي الأجيال القادمة، وتعزيز الشجاعة ليكونوا مبتكرين ومبدعين، والأمل في أن لدينا مستقبل يمكننا أن نمتلكه ويمكن للعالم أن يرانا على نفس القدر من التساوي والمساهمة في بناء الإنسانية.

كل هذه النقاط مهمة للغاية خاصة اليوم؛ بسبب المشروع الاستعماري الإسرائيلي في فلسطين، لما نشاهده اليوم من تجريد للشعب الفلسطيني من إنسانيته من خلال جميع وسائل الإعلام وعلى جميع الأبعاد لإضفاء الشرعية على الإبادة الجماعية ليس من قبل إسرائيل فحسب، بل أيضاً من قبل الحكومات الغربية والأكاديميين ووسائل الإعلام وما إلى ذلك.

وقد بدأت مؤسسة شومان، من بين الآخرين، في كسر هذه الحلقة وتبسيط الضوء على الأكاديميين العرب من خلال جوائزها ومن خلال تكريم العلماء البارزين، وهو أمر في غاية الأهمية كوننا في معظم الأوقات علماء عرب درسوا في الخارج، فإننا

(1) حائزة على شهادة الدكتوراه في البيولوجيا الخلوية الجزيئية، وعلى زمالة رادكليف في جامعة هارفرد، حائزة على منحة فولبرايت وزمالة أيزنهاور، مدير سابق لمركز الدراسات، أستاذ دكتور في الجامعة الهاشمية/ الأردن.

نميل إلى اتباع الاتجاه الذي تعرضنا له وتسلط الضوء على هؤلاء العلماء من الغرب ممن فازوا بجوائز نوبل. على الرغم من أن هؤلاء أناس رائعون وقد ساهموا في العلم إلا أنهم ليسوا ذوي صلة بالشبان والشابات في الحي الذي أعيش فيه.

وفي حالات أخرى قد نسلط الضوء على علماء العصر الذهبي للعلوم في الحضارة الإسلامية مثل ابن سينا وغيره، وهذا أيضاً ذو أهمية لاستعادة تاريخنا. ومع ذلك ولتحقيق هدفنا، نحتاج إلى تسليط الضوء على الأشخاص الذين أثروا فينا؛ الذين يشبهوننا، يرتدون مثل ملابسنا، ويتحدثون لغتنا، الذين نشأوا ونموا معنا وبيننا بحيث يمكن أن يكونوا نماذج ملهمة ذات صلة بالنسبة لنا ولجمهورنا على الصعيدين المحلي والعالمي.

ويمكن أن يبدأ كل واحد منا تلك الحركة، حيث عند كل محاضرة أقوم بعرض شريحة من صور مُعلمي المعاصرين، ولذلك أعرض صورة الأستاذ الدكتور موسى الناظر من بين آخرين ومن بينهم والذي المرحوم الدكتور باسم الدجاني، كما أقوم أيضاً بتضمين صور زملائي حتى الأصغر مني سنًا، فمن وجهة نظري كل شخص هو قدوة ونحن نتعلم الكثير من بعضنا البعض.

لتغيير العالم، يُقال إننا بحاجة إلى محامين ونشطاء ورواة قصص، فالسرد القصصي قوة فعالة جداً، وأؤمن أنه مع تطور البشر كان هناك مجموعتان من الناس: أولئك الذين جلسوا حول النار ورووا القصص وأولئك الذين استهزأوا بهم واتهموهم بإضاعة وقتهم، ولكم أن تتخيلوا من نجا من هؤلاء؟ بالتأكيد هم رواة القصص. ولذلك، ومن منطلق روح التطور، سأروي قصتي مع الأستاذ الدكتور موسى الناظر:

في المرة الأولى التي قابلت فيها البروفيسور موسى، كنت طالبة في قسم الأحياء، وكنت أدرس الكيمياء العضوية في فصله، لأقع هنا في حب الكيمياء العضوية، بالرغم من شكوى جميع الطلبة الآخرين من صعوبتها.

إلا أنها بالنسبة لي، كانت موسيقى أذني، كنت أستمتع بتحليل التركيبات والتفاعلات الكيميائية، وتحليل المنتجات، والغوص بشكل أعمق لفهم طاقات الهياكل دون الذرية التي تحرك التفاعلات، حتى إنني كتبت قصيدة كاملة عن هذه الجزيئات العضوية المذهلة أثناء الامتحان ذات مرة.

لكن لاحقاً، أدركت أن تأثير البروفيسور الناظر، غير المباشر، كان له دور كبير في تعزيز فضولي وشغفي في مجال الكيمياء العضوية. كنت أعود إلى المنزل، وأشارك مع والدي ما تعلمته والتفاعل في الفصل الدراسي مع البروفيسور الناظر، عندها أخبرني والدي أن البروفيسور الناظر عبقرى، وقد اكتشف مجالاً كاملاً في الكيمياء العضوية ولديه نظرية باسمه.

كان والدي قد التقى بالبروفيسور الناظر في الجامعة الأمريكية في بيروت عندما كان والدي طالباً في الستينيات وكان البروفيسور الناظر مدرساً في الجامعة آنذاك.

كنت أقوم بواجبات تلك المادة للأسبوع المقبل قبل حتى أن يشرحها البروفيسور الناظر، وأسلم الواجب في بداية المحاضرة، لأقف بعدها بجوار مكتبه منتظرة بصبر أن أ طرح عليه الأسئلة التي لم أفهمها، بالمقابل كان صبوراً وهادئاً يشرح كل شيء بطريقة واضحة كانت تثير فضولي أكثر وأكثر، وبالنسبة لي هذه هي السمة المميزة للمعلم ومحب العلوم، الذي يستمتع باهتمامات طلابه التي تتكشف من خلال المناقشات، وقد كتبت عن ذلك في كتاب الأوشحة الخمسة.

بعد تخرجي، لم أر البروفيسور الناظر إلا بعد سنوات عديدة، عندما أصبحت أستاذاً مشاركاً في الجامعة الهاشمية في الأردن، وتمت دعوتي لإلقاء محاضرة عن الخلايا الجذعية في جمعية البحث العلمي في الأردن التي كان يرأسها الدكتور أنور البطيخي.

لألمح الأستاذ موسى بين الجمهور وأنا في حالة ذهول، وبدأت محاضرتي بشكره والاعتراف بتأثيره علي في حب العلوم والكيمياء، لطالما أذهلني تواضعه، بالنسبة لي، كان بطلاً في ميدان العلوم وها هو يسعى للمعرفة أينما كانت. رأيت مرة أخرى في جنازة والدي، لن أنسى زيارته أبداً التي أظهرته حقاً كإنسان يهتم بالآخرين ويحترمهم، أثر ذلك في نفسي بشكل عميق وأظهر ما يعنيه الاهتمام والاحترام.

عندما أجريت مقابلة مع البروفيسور موسى تحضيراً لهذا المقال، تعلمت العديد من القصص الأخرى التي أود تسليط الضوء عليها هنا والتي توضح صفاته مثل:

- منهجيته في التدريس.

- تواضعه وتركيزه على التغيير من جذور المجتمع.

- وحيه للناس وطلابه.

- وأخيراً حبه للتعلم والعلم.

أخبرني أنه لم يرغب أبداً في تولي المناصب الإدارية؛ لأنه أراد البقاء في الميدان مع طلابه، كون الواجبات الإدارية كانت ستبعده عنهم. أراد دائماً أن يكون مدرساً وليس مديراً، منذ أيامه كطالب في المدرسة والجامعة، وهذا ما يذكره والدي عن ذكرياته في الجامعة الأمريكية في بيروت. رحلته من الجامعة الأمريكية في بيروت إلى جامعة هارفرد كان لها تأثير كبير عليه وألهمته للعودة إلى الأردن لتأسيس أول جامعة في الستينيات لتنشئة جيل جديد من المتعلمين الذين يمكنهم المساهمة في تطوير البلاد.

كان حبه للعلم نابغاً من فضول عميق ولم يكن مهتماً بالترقيات والمناصب؛ فقد قام بالبحث من أجل المعرفة بحد ذاتها. حيث رأى البحث كأداة تعلم بذاتها، واستخدم البحث ليلهم طلابه بالثقة وطرح الأسئلة، وقد حذوت حذوه في رحلتي العلمية.

وأساءل دائماً في حال كان ملزماً بأداء واجبات إدارية، ما مدى تأثير ذلك على طلابه؟ وفي كل الحالات فقد فاز طلابه بالطريقة التي يتبعها باتخاذ قراراته. تلخصت فرحته وسعادته بوجوده بين طلابه يتفاعلون ويتعلمون ويتشاركون، ويقول إن تفاعله مع الناس والعقول كان أكثر فائدة من التفاعل مع الأوراق.

يروى البروفيسور موسى أنه إذا كان بإمكان الشخص تغيير شيء واحد في إنسان آخر والتأثير على رحلة ذلك الشخص، فهذا هو ذروة النجاح وليس تراكم الأبحاث المنشورة التي قد لا تحدث فرقاً بالضرورة على الناس في مجتمعه.

إن مهنة المعلم هي مهنة نبيلة تغير الإنسان للأفضل. ويُعد البروفيسور موسى تجسيداً لنظرية الفوضى التي تنص على أن الفراشة عندما ترفرف بجناحيها تحرك الريح ستيماً واحداً فينتج إعصار يتجاوز الزمان والمكان. كان البروفيسور موسى وما زال الفراشة التي تصنع التغيير بطريقته الهادئة والساكنة لكل طالب على حدة طوال حياته المهنية الطويلة.

يروى البروفيسور موسى إن التدريس يمنحه سعادة عميقة وإنجازاً، وأنه يصادف ثمار عمله من خلال لقاءات مع غرباء تماماً في بعض الأحيان، يخبرونه أنه كان له تأثير على حياتهم ويسردون قصصاً لا يتذكرها دائماً أو لم يدرك مدى تأثير التفاعل بعد سنوات على الطالب، ففي ذهنه كان يفعل الأشياء العادية اليومية بناءً على فلسفته الشخصية.

كثيراً ما كان الناس يتوقفون ليُحيوه في الشارع ولم يكن يتذكرهم، وكانوا يقولون له: «أنت لم تعلمنا، ولكن علمت أخي، وأبي، وأمي، سمعنا عنك منهم وشعرنا بتأثيرك». كان ذلك بالنسبة للأستاذ الناظر إرثه.

يروى كيف قام بالتضحية بمنصبه في هارفرد لصالح العودة إلى الأردن وتأسيس أول جامعة. لم تكن هناك أشجار، ولا مباني. دخل فصله في اليوم الأول

ونظر إلى وجوه طلابه وشاركني بما شعر به: «هذا هو المكان الذي أريد أن أكون فيه، هذه هي رسالتي. لقد تعلمت منهم. هم بوصلتي، لم أتوقع البقاء أكثر من سنة واحدة ولكنني بقيت طوال حياتي. كانت العائدات أكبر بكثير مما توقعته. كان كنزي يتزايد كل عام».

وبينما كنا نتحدث، تذكر قصة أخرى مع أحد طلابه قبل خمسين عامًا، لقد كانت جلسة مختبر لطلاب السنة الأولى، لم يتلق الطلاب تدريباً على ممارسات وإجراءات السلامة في المختبرات، على الرغم من مشاركة ممارسات السلامة مع الطلاب، إلا أن الطلاب لم يكونوا دائماً مسؤولين بما يكفي لتطبيقها، لذلك كانوا يقومون بأشياء خطيرة عن غير قصد.

ففي إحدى الحالات، أشعل أحد الطلاب موقد بنسن على الطاولة بواسطة عود ثقاب وألقى العود المشتعل في سلة المهملات بدلاً من سلة المواد الخطرة، ليقوم الأستاذ موسى بهدوء إلى سلة المهملات ويلتقط عود الثقاب ويضعه في الحاوية الصحيحة وهو يبتسم ويومئ برأسه نحو الطالب. لاحقاً، قام الطالب بتذكير الأستاذ موسى بهذا اللقاء الذي كان بالنسبة للأستاذ موسى بمثابة لفتة غير ذات أهمية في ممارسته اليومية باحترام الطلاب ورعايتهم. ليحفر ذلك الحدث منزله في رأس الطالب طوال حياته حيث أدرك أهمية تقديم نموذج عن القدوة بدلاً من التحدث لإيصال الدرس.

في الختام:

وبينما أتأمل في رحلة البروفيسور موسى الناظر، أتساءل: ما الذي يجعل المرء عظيمًا؟ بالطبع هناك العوامل المألوفة مثل السلطة والمال. ولكن للأسف، هذه الصفات هي التي دمرت مجتمعاتنا.

من خلال تجربتي، ما يجعل الشخص عظيمًا في العالم الواقعي هو:

- حب واحترام الناس.

- الفضول للتعلم.

- الرغبة في العطاء والمشاركة.

وعلى حد تعبير البروفيسور موسى الناظر، كانت بوصلته دائماً هي الناس وعلاقته بهم. أشعر بالفخر كوني كنت جزءاً من رحلة البروفيسور موسى. وآمل أن أتمكن من حمل صفاته في رحلتي ونقلها إلى الجيل القادم.

المُعَلِّمُ الْإِنْسَانُ

أ. د. سليم سعيد صبري⁽¹⁾

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

﴿يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

السلام عليكم أيها الحضور الكرام ورحمة الله وبركاته

طَلَبَ مني عنوان للكلمة التي سألقيها بمناسبة تكريم أستاذنا الفاضل الدكتور موسى الناظر فلم أتردد كثيراً في اختيار هذا العنوان (المُعَلِّمُ الْإِنْسَانُ)... فهو معلم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معانٍ ساميةٍ ومن فحوى عظيم في قاموس هذه الأمة العظيمة، وهو إنسانٌ بكل معاني الإنسانية؛ من أدبٍ وكرمٍ خلقٍ وصدقٍ ونقاشٍ هادئٍ واحترامٍ للغير ووفاءٍ للأصدقاء.

ومهما كتبت أو تحدثت عن الأستاذ الدكتور موسى فلن أوفيه حقه، فهو قامة من قامات التربية والتعليم... كما أنني لن أتحدث عن موسى الطالب المتميز في الجامعة الأمريكية في بيروت في مرحلة البكالوريوس والماجستير... والطالب المبدع في جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية... ولا عن الدكتور موسى الشاب المتقد حماساً للعمل في تأسيس قسم الكيمياء بالرغم من حداثة كلية

(1) أكاديمي أردني، الجامعة الأردنية/ الأردن.

العلوم في الجامعة الأردنية، ومن عروض كثيرة له من جهاتٍ أخرى، كما أنني لن أتحدث عن سيرة الأستاذ الدكتور موسى في بناء وتطوير قسم الكيمياء والمناهج في وزارة التربية والتعليم... لذا يسرني ويسعدني أن أتكلم عن محطات لي في مسيرتي بقسم الكيمياء برفقته لمدة تجاوزت الأربعين عاماً.

المحطة الأولى: تعييني في الجامعة الأردنية والتعرف على الدكتور موسى

كنت طالب دكتوراه في جامعة كاليفورنيا/ لوس أنجلوس وعندما ناقشت رسالة الدكتوراه كانت رغبة عائلتي بأن أعود إلى أرض الوطن... وأخبروني عن الجامعة الأردنية وأنتني أستطيع أن أراسل رئيس قسم الكيمياء الدكتور موسى الناظر، وفعلاً كتبت رسالة للدكتور موسى عن رغبتني بالتعيين مع أنه لم يكن عندي أي معلومات عن الجامعة الأردنية... وجاءني الرد سريعاً من د. موسى، و فوجئت بسرعة تعييني محاضراً في قسم الكيمياء إلى حين إحضار واستلام شهادة الدكتوراه، حينها أيقنت أن هذا الشخص يعرف ما يريد له لقسمه من تخصصات ويستشرف المستقبل، وعلمت لاحقاً أن أسباب تعييني كان التفكير في إنشاء كلية للطب والبدء في الدراسات العليا (الماجستير) في الكيمياء وأن د. موسى أصرّ أن يتم تعيين أعضاء هيئة تدريس للبدء في هذين البرنامجين، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أننا أمام إداري ناجح متميز... يخطط للمستقبل ويحرص على قسمه وجامعته. وعندما حضرتُ إلى عمان من أمريكا لم أكن أعرف المدينة كثيراً، فقد زرتها وأنا طالب في القدس لعدة مرات... تعرفت في الفندق الذي نزلت فيه إلى أحد الزملاء (من النزلاء في الفندق) وعرض عليّ إيصالني إلى الجامعة الأردنية.

قابلت د. موسى، ومن أول لقاء شعرتُ بالطمأنينة من نظراته الدافئة المتقدمة ذكاءً، وقيمت حسب طلبه بإجراءات التعيين ومتطلباتها بكل سهولة ويسر (ففي تلك الأيام كانت الثقة ومنح الصلاحيات سمة التعامل)، سلمني مهامني بأن أبدأ التدريس في اليوم التالي، وكانت أول محاضرة لي لطلبة الدراسات العليا وكان هذا بدء

البرنامج، ارتبكت لبعض الشيء لأنني لم أحضر كتيبي وكافة مستلزماتي، ولكنني لمحت الإصرار في محياه وكذلك الثقة بأنني سأقوم بالواجب، فتوكلتُ على الله وبدأت التدريس.

كان هذا اللقاء الأول درساً لي في حياتي العملية؛ أنه لا مستحيل مع مشيئة الله والثقة بالنفس والعمل الجاد للوصول للأهداف التي يرسمها الإنسان لتطوير ذاته ومجتمعه، وبهذه المناسبة فإن برنامج الماجستير بالكيمياء كان البرنامج الأول في الأردن وقد تخرج منه العديد من الطلبة الذين أوفدتهم الجامعة الأردنية وبعض الجامعات الأردنية حديثة التكوين إلى جامعات عالمية... للعودة للتدريس في تلك الجامعات. وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنه يدل على حسن استشراف المستقبل والتخطيط له.

المحطة الثانية: التدريس مع الأستاذ الدكتور موسى

قمت بتدريس مواد قسم الكيمياء من السنة الأولى وحتى الدراسات العليا، وكان د. موسى عادلاً في توزيع نصاب لكل مدرس في القسم، ولكنه كان يهتم كثيراً بطلبة السنة الأولى في القسم، ويحرص على الاجتماع بهم وبمدرسيهم لمتابعة أوضاعهم ومناقشة أفضل السبل لتدريسهم، وكان يؤمن بأن أول لقاء لطلبة السنة الأولى هو انطباع يأخذه الطالب عن القسم وعن الجامعة.

وبازدياد أعداد الطلبة اضطر القسم لتشعيب الطلبة. وكان من حسن حظي أن أدرس مع أ. د. موسى مادة الكيمياء العضوية لطلبة الكيمياء، وكان لكل منا شعبة، وكانت بالنسبة لي تجربة ممتعة فريدة أن أتعرف عن قرب على الدكتور موسى وعن تفكيره والطريقة المثلى لتدريس هذه المادة، فكنتُ نجلس سوياً، وكنت تلميذاً أنصت وأسمع آراء حكيم يشرحُ فيها أسلوب التدريس وكيفية معاملة الطلبة، وكذلك كيفية وضع الأسئلة، وكان يحرص أن يكون المدرس معلماً لا مُلقناً، وأن يُراعي أن تكون الأسئلة سهلة وتكشف مدى فهم الطالب للمادة لا حفظها.

المحطة الثالثة: الإشراف على تأليف كتب للكيمياء في وزارة التربية والتعليم

كان لي شرف المشاركة مع أ. د. موسى بالإشراف على تأليف كتب الكيمياء للمرحلة الثانوية، وقد تعلمت الكثير كما تعلم المؤلفون من رؤية أ. د. موسى في طريقة التأليف، وبرأيي المتواضع كما هو رأي معظم مدرسي الكيمياء في الوزارة، فإن هذه الكتب كانت من أفضل ما قُدم للطلبة لتعلم مادة الكيمياء من طرح للفكرة وكيفية وضع أسئلة لمعرفة مدى استيعاب الطالب للفكرة ثم عمل تجربة عملية لترسيخ المفهوم.

ولا يفوتني أن أذكر أنه عندما تقرّر تدريس المادة العملية للسنة الأولى في قسم الكيمياء كمادة مستقلة، انبرى أ. د. موسى لوضع الأساس لها، وكان لي شرف المشاركة معه في تأليف دليل التجارب العملية لهذه المادة، فكان الأسلوب المتبع مقدمة نظرية ثم تسلسل في خطوات عمل التجربة ثم أسئلة لمعرفة مدى استيعاب الطالب للمفاهيم النظرية لهذه التجربة، وكان أ. د. موسى يصرّ على أن تُجرى التجربة من قبل كل من يُدرس هذه المادة من أساتذة وطلبة دراسات عليا... وبالمناسبة فإن هذا الدليل بقي لعدة سنوات يُدرس في أقسام الكيمياء في الجامعات الأردنية الرسمية والخاصة.

المحطة الرابعة: العلاقات الإنسانية والاجتماعية

كان أ. د. موسى حريصاً كل الحرص على أن يجعل قسم الكيمياء بيتاً للجميع وأسرّة واحدة، وكان يحرص في نهاية كل عام دراسي على دعوة خريجي القسم وأعضاء الهيئة التدريسية إلى بيته؛ لتهنئة الخريجين من جهة ولإشعار الخريج بانتمائه وارتباطه ارتباطاً وثيقاً بأسرة قسم الكيمياء. ولترسيخ هذا المفهوم تم اقتراح إنشاء رابطة خريجي قسم الكيمياء التي رعاها حق الرعاية... فكانت هذه الرابطة منفذاً للقسم إلى المجتمع وخاصة مدارس وزارة التربية والتعليم؛ حيث كانت تقوم سنوياً بزيارة المدارس من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب وتقيم معرضاً علمياً

تُجرى فيه التجارب المخبرية أمام الطلبة. كما كانت الرابطة تساعد القسم في تنظيم المؤتمرات وتقوم بالاتصالات مع الصناعات المختلفة. وقد كبرت هذه الرابطة وتطوّرت إلى أن أصبحت الآن معروفة باسم (الجمعية الكيميائية الأردنية) وتضم كل الجامعات الأردنية، كما تقوم بالنشاطات المتعددة ومنها الحرص على فكرة الرابطة من حيث الزيارات المدرسية. ولثلاً تضيع فكرة الأسرة عند أ. د. موسى لم يُلغ رابطة خريجي قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية بل بقيت كتجمع للخريجين القدامى (لقاءات اجتماعية).

والدكتور موسى حريص في موسم الزيت والزيتون على إهداء أصدقائه ولو القليل من زيت الزيتون والورود في موسم الربيع وأشياء أخرى كثيرة.

بعد هذا كله أقول: شكراً لك أستاذي وأخي الكبير أبو زهدي على كل ما قدمته لي، لأكون ناجحاً في التدريس وفي أبحاثي وفي إدارتي وفي علاقاتي الإنسانية، وشكراً لما قدمته من عطاء متميز لقسمك قسم الكيمياء وجامعتك ولزملائك وطلبتك ومجتمعك.

بارك الله بك،

وجزاك الله كلَّ خير،

ومتَّعك الله بالصحة والعافية،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نور التعليم: تأثير الأستاذ الدكتور موسى الناظر في بناء القادة وزرع الأمل

أ. د. أمل العابودي⁽¹⁾

بداية، أود أن أعرب عن امتناني لمؤسسة شومان، ولفريق العمل على جهودهم الرائعة في تنظيم هذا الحدث الذي يهدف إلى تكريم الأستاذ الدكتور موسى الناظر. إن تكريمه يعتبر تكريمًا للعلم والعلماء، ويعزز إيمان المؤسسة بأهمية الدور الحيوي الذي يلعبه العلم والتعليم كركيزتين أساسيتين في بناء وتطوير المجتمع.

يشرفني أن أكون هنا اليوم لنكرم إنساناً عظيماً، معلماً استثنائياً، أمضى عمره في خدمة التعليم وتأسيس قواعد العلم. المعلم الذي أثر بشكل كبير على عدد لا يحصى من الطلاب على مر السنوات.

نجتمع اليوم لنكرم معلماً بنى فينا العزيمة والأمل. نجتمع في ظروف تتطلب منا الإيمان الراسخ بالنصر القادم.

كاد المعلم أن يكون رسولا

يقال كاد المعلم أن يكون رسولاً، كم ترددت هذه الكلمات في أذهاننا، مخلدةً تأثير المعلم الذي لا يُضاهى، وكنا نعتقد أننا نفهمها، ولكن مع الأيام يتبين لنا أن معانيها تتعاضد وتتعمق. إنها كاللؤلؤة الثمينة التي تكتسب بريقاً جديداً كلما

(1) أكاديمية، أستاذة للكيمياء وباحثة علمية / الجامعة الأردنية، الأردن.

تم تأملها، وتجعلنا ندرك أن المعلم يكاد يكون رسولاً، حاملاً معه رسالة بناء جيل وتشكيل عقول. تأثيره يمتد عبر الأجيال كأموح لا تتوقف، بذرة يزرعها المعلم ويرعاها، لتنمو وتنقل رسالة العلم والحكمة من جيل إلى آخر. وقد كان لي الشرف والحظ الكبير أن أتلمذ على يديه، وعلى أيدي طلبته، وأن أكون جزءاً من الذين تلقوا إرشاداته القيمة. حيث لم تكن رحلة التعلم مجرد دروس، بل تجربة غنية بالحكمة والإلهام، فلم نتعلم المواد الدراسية فحسب بل وكيف نكون مفكرين أحراراً قادرين على تحقيق الإبداع. إن تأثير د. موسى يتجاوز جدران الفصول الدراسية إلى كافة نواحي الحياة.

عودة إلى أرض الوطن

ذات يوم، استضفنا في قسم الكيمياء أحد أصدقاء الدكتور موسى، والذي كان من ضمن خريجي هارفرد الحاصلين على جائزة نوبل في الكيمياء. سألته بخجل: «ألم تندم على عودتك المبكرة من عملك في هارفرد؟ هل تتمنى أحياناً أن يعود بك الزمن للحظة اتخاذ قرار العودة؟» عندها، لمحت ابتسامة حنونة على وجهه، وبصوته الهادئ أجاب: «أنتم أهم من كل الجوائز، وأهم إنجاز لي هو أنتم، من ستحملون الرسالة وستكملون البناء. قد يرى البعض قرار العودة إلى عمان كضرب من الجنون ومغامرة غير محسوبة، من جامعة تعتبر الأولى في العالم، إلى جامعة لم تبدأ مبانيها بعد، هنا يتجلى الدكتور موسى كشخص يعي مسؤوليته كإنسان ومعلم وقدوة. دون تردد، يحزم الدكتور موسى قليلاً من الأمتعة وكثيراً من العزيمة، يعود وهو يحمل كتاباً بيده الأولى، ومعولاً في الثانية. عاد بقلب مؤمن بدوره في خدمة وطنه، وبتصميم قوي، وإلحاح في تحقيق أهدافه، ونفاذ بصيرة يمكنه من رؤية الطريق إلى الأمام.

هكذا يروي الدكتور موسى قصة عودته عام 1965، قصة امتحان حياة وتحديّ عندما قررت العودة، شعرت بأن كل مجهود على أرض الوطن سوف يحمل قيمة

ومعنى، ويكتسب أهمية خاصة نابذة من مكانته والحاجة إليه، وسيسهم في بناء الأسس للتعليم والتقدم. كانت أولوياتي ودوري وأهدافي واضحة. بدأت رحلتي بثقة ويقين». وقد لمس لدى عودته التفاني والإخلاص لدى القلة التي سبقته إلى الجامعة، حاملة عبء الإدارة ومسؤولية الرعاية، مما شجعه على الانضمام للفريق. ويشير الدكتور موسى إلى ما لمسهُ لدى الطلبة من رغبة وحاجة ودافع إيجابي للتعلم، مما حفزه للارتباط بهم وأصبح العمل مليئاً بلذة الإنشاء والبناء. **Top of Form**

«أتدري يا أمل إن هذه الشجرات قد غرسناها بأيدينا، كان كل منا يشعر أن الكلية بيته ونحن أسرته. لم يكن من هذه المباني إلا ما يعرف الآن بقسم الجيولوجيا. كانت هناك حاجة ملحة في كافة الاتجاهات. لقد احتاج مني الأمر أن أتعلم الهندسة، ودراسة العطاءات والمواصفات الضرورية للمختبرات، بالإضافة إلى البحث عن الطرق الأسلم لتوفير الماء والكهرباء والغاز. تفاصيل كثيرة امتدت من مواصفات البراغي إلى إيجاد تمويل للبناء. ومن ناحية أخرى بدأنا في وضع الخطط الدراسية، وصياغة الأنظمة والتعليمات، لضمان تنظيم وسلاسة العملية التعليمية في كلية العلوم.

زراع وقطاف

إن الجلوس في حضرة الدكتور موسى من المتعة بمكان، أن يجد المرء نفسه غارقاً في الإنصات والخيال، فيكاد يسمع صوت عمال البناء وصوت نقاش الطلبة بعد محاضرة شيقة. ويرى حديقة الكلية تكبر وتتفتح بأزهارها وترتفع شامخة بأشجار النخيل والأرز. فالجامعة الأردنية لم تكن في يوم من الأيام مكان عمل ووظيفة بالنسبة له، بل كانت وطناً عاش به شبابه وقضى به حاضر شيخوخته. رافق تطور الجامعة من أبنية تعلو وتمتد وأبناء يكبرون ويتخرجون من الجامعة وأشجار تغرس وتظلل. هي بيته وأسرته، فيها تفتح الأبناء والبنات وقد غرس فيهم حب العلم والمعرفة والأخلاق الحميدة والانتماء المخلص. فنجدته يحتفل بتخرج

الأفواج الأولى من قسم الكيمياء بحفل أبوي في بيته، يتجلى الفرح بقطف ثمار المجهود. حفل يتلذذ الخريجون الأوائل بالحديث عنه؛ لما يحمله لهم من ذكريات جميلة ورعاية أبوية. يتحدثون عن أثر الدكتور موسى على حياتهم، عن الرحلات والمختبرات والمواقف الطريفة. أحدهم يرمي عود ثقاب في مغسلة مختبر ويراه الدكتور موسى وبكل هدوء يحمل ملقظاً ويأخذ عود الثقاب ويرميه في المكان المخصص دون حتى نظرة عتاب للطالب. لتكون نهاية لإلقاء أي شيء في مغسلة المختبر من قبل الطلبة كافة.

قد يغيب أو يتأخر عن محاضراته أحد الطلبة، فلا يمر ذلك دون انتباه د. موسى بل ويطلب من الطالب أن يمر عليه في المكتب ليتحدث معه بكل وُد واحترام، يستمع ويحاور ويرشد الطالب على الطريق. فما يكون من الطالب إلا أن يعدل سلوكه ويواظب على الحضور قبل بدء المحاضرة. أما أوراق الامتحانات فقد كانت تعطى لكل طالب على حدة، ويتم مناقشته بالإجابات.

إن علاقة الدكتور موسى بطلبته علاقة خاصة ومميزة، يشعر بها كل طالب أنه مهم، وحاضر في مركز دائرة رعاية معلمه واهتمامه. ولعل هذا من أهم الأمور التي تفتح العقول وتنمي الانتماء وتحفز القدرات. والدكتور موسى خير من مارس ذلك بأسلوب عبقرى صادق ونابع من القلب. فتجد طلبته يسعون للقائه والتعبير عن امتنانهم له في كل فرصة تلوح لهم.

يوم الخريج

أذكر أننا نظمنا في كلية العلوم يوم الخريج، بدأنا بدعوة الأفواج الأولى من الخريجين - ولا بد لي أن أذكر هنا أن معظمهم قد أصبح قيادياً متميزاً في موقعه، سواء في تطوير وإنشاء الصناعات الأردنية المختلفة، أو في مجال التخطيط الاقتصادي والسياسي للوطن، أو ترأس أحد الجامعات الأردنية. وكم كان شعورنا بالفخر عظيماً للمساهمة الكبيرة التي تميز بها قسم الكيمياء في بناء الاقتصاد والتعليم العالي في

الأردن. ومما لا شك فيه أن وجود قائد ومعلم كالدكتور موسى كان له أكبر الأثر والفضل في هذا النجاح - عودة إلى يوم الخريج وما حصل لحظة تقديمي لكلمة الدكتور موسى، حيث وقف الحضور وضج مدرج الحسن بالتصفيق، في موقف تلقائي مؤثر عبّر فيه الخريجون الأوائل بكل عفوية عن شعورهم تجاه معلمهم، ولم يكن مجرد احتفال عادي ينتظر المدعوون لحظة نهايته لينصرفوا إلى أعمالهم، بل التفوا حول أستاذهم لا يريدون لهذا اللقاء أن ينتهي، وهم يقرون بفضل الدكتور موسى عليهم وبما حققوه من نجاحات وإنجازات.

معلم ملهم

وذكر لي أستاذاي الدكتور موسى أبو زرقعة وهو أحد طلبة الدكتور الناظر قائلاً: «لم يكن د. موسى يعلمنا المادة المقررة فقط، بل كان يعلمنا كيف نتعلم ونعلم أنفسنا وكيف نفكر، ونادراً ما كان يعطي الجواب لأي سؤال، بل يدلنا على الطريقة التي توصلنا للحل بأنفسنا، وهذا الأسلوب أثّر بي كمدرس وبالكثير من طلبته الأكاديميين. ولعل من أجمل ما كان يركز عليه هو خلق رابط بين الطلاب وقسمهم فكان يشاركنا في كافة النشاطات والحفلات والرحلات، ويركز على زيارة المصانع لربط ما نتعلمه من علم بجوانبه التطبيقية. وحتى بعد التخرج، كان يولي جل اهتمامه لاستمرار علاقة الخريج بقسمه، مما كان له الأثر الكبير في تأسيس رابطة الكيميائيين الأردنيين، والتي تطورت لاحقاً إلى الجمعية الكيميائية الأردنية. كما اهتم الدكتور موسى بالتأسيس لأعضاء هيئة تدريس مستقبلين في القسم، فكان يسمح لعدد من طلبة السنة الرابعة المشاركة في الإشراف على المختبرات والمساعدة في التدريس. وقبل نهاية العام يحضر لنا طلبات قبول مع منحة دراسية للماجستير في الجامعة الأمريكية في بيروت، وهو شيء لم يكن ليخطر بالبال لولا رعاية ومجهود الدكتور موسى.

وللتخطيط لمستقبل القسم، أنشأ برنامج الماجستير عام 1972. والذي أصبح يوفر مساعدي التدريس في القسم. ومن خريجي هذا البرنامج، تم اختيار

البعض للعمل كمعيدين تمهيداً لابتعاثهم للحصول على درجة الدكتوراه من أفضل الجامعات العالمية والعودة للعمل في القسم. وهذه المجموعة من المبعوثين شكلت الجيل الثاني من أعضاء هيئة التدريس، والذين حملوا الرسالة وأكملوا المسيرة بكل تفان وإخلاص».

قسم الكيمياء يكبر ويتشكل

وتبدأ مرحلة جديدة من مسيرتهم، انتقل طلاب الدكتور موسى من دور الطلاب إلى دور الزملاء. تحولت العلاقة من أن تكون مجرد علاقة تعلم إلى رابط أقوى وأكثر نضوجاً. كبر الود بينهم، وزادت مراتب الاحترام والتقدير تجاه أستاذهم ومرشدهم، أصبحوا زملاء يتبادلون الخبرات والأفكار، وفي ظل هذا الانتقال، يستمر د موسى في أداء دوره كمرشد ومعلم، مساهماً في بناء مجتمع علمي قائم على التعاون والتفاهم والتفاني في العمل.

وعند انعقاد مجلس القسم، يتألق د. موسى بدور قيادي يتسم بالحكمة والبصيرة. ويتميز - سواء كرئيس للقسم أو كعضو في المجلس - بمهارة استثنائية في توجيه الجهود لاتخاذ القرار الذي يخدم مصلحة القسم؛ فتجده يستمع بعقل منفتح، ويرتب الأولويات ببصيرة ثاقبة، ويحدد الأهداف، ويوجه الأسئلة، ويحفز الزملاء على التفكير بوضوح، وبهذا يؤسس لمنهجية الحوار لما سيأتي من أيام.

مساهمات في التعليم العالي

نور العطاء لدى الدكتور موسى يشع كالشمس اللامعة، مضيئاً الطريق في كل الاتجاهات، يمتد هذا النور ليشمل التخطيط والإعداد لتأسيس جامعات أردنية، ومساهمات في مجال تعليم الكيمياء على مستوى الأردن والأقطار العربية، والمؤسسات العالمية، والمشاركة بأي نشاطات أو مبادرات تخدم الهدف الرئيسي، وهو بناء إنسان مفكر ومنتمٍ يساهم في رفعة الوطن والإنسانية جمعاء.

فقد شارك الدكتور موسى في إعداد الخطط الدراسية لتخصصات الكيمياء، وإعداد مخططات لمباني الكيمياء ورئاسة عدد من اللجان في عدة جامعات أردنية، كما ساهم في وضع أسس معادلات الشهادات والاعتماد وجوائز البحث العلمي في وزارة التعليم العالي، ولعب دوراً رئيساً في المشاركة في وضع الأسس والمعايير لعدة لجان معنية بتحفيز البحث العلمي وارتقاء العلوم في مؤسسة شومان، لا يسعني المجال هنا في الخوض بتفاصيلها.

على المستوى الدولي

وفي مجال خدمة الكيمياء وتعليمها على مستوى المؤسسات العالمية، فقد شارك الدكتور موسى في أعمال مؤتمرات اليونسكو، وكان السكرتير التنفيذي للمشروع العربي للبحوث الكيميائية في اليونسكو. كما ساهم في تنظيم عدة مؤتمرات دولية لعل من أهمها المؤتمر الأوروبي الآسيوي في العلوم الكيميائية عام 2010 والذي يعد واحد من أنجح المؤتمرات ضمن هذه السلسلة العالمية، حيث استضاف ما يقارب عشرة من الحاصلين على جائزة نوبل في الكيمياء وعشرات العلماء المتميزين في العالم، وأتاح هذا المؤتمر فرصة نادرة للعلماء الشباب للالتقاء مع نخبة من أبرز علماء العالم في الكيمياء.

تطوير تدريس العلوم والكيمياء في المدارس

وكما شمر عن ساعديه لبناء التعليم العالي في الأردن فور عودته عام 1965، فقد وجد نفسه في خضم التطورات التي يشهدها الأردن في تطوير تدريس العلوم والكيمياء في المدارس. فتولت المهمات التي شارك فيها منذ ذلك الوقت؛ منها الانضمام إلى لجنة تحكيم لتختار كتب تدريس العلوم والكيمياء، وتطوير مناهج العلوم والكيمياء وتأليفها والإشراف عليها لكافة المراحل التعليمية، وامتد العمل ليشمل إعداد مناهج لمدارس في عدة أقطار عربية منها المملكة العربية السعودية، ودولة الإمارات العربية، والجمهورية اليمنية. والإشراف على ترجمة وأقلمة سلاسل كتب علوم لجميع مراحل

ما قبل الجامعة لدول التعاون الخليجي - وقد كان لي الشرف أن أكون ضمن فريق الترجمة - ومن أهم الأمور التي تعلمتها منه في حينه، أهمية التخطيط المسبق للعمل، وأهمية الحوار مع الفريق لضمان التوافق على الآليات والأهداف.

لقد أولى الدكتور موسى لتعليم العلوم والكيمياء جل اهتمامه، فقد كان مؤمناً بأهمية الموضوع وتأثيره على مستقبل الأجيال. لا أنسى كيف عمل لإبقاء الكيمياء مادة أساسية في التخصص العلمي في المدارس، كان قادراً على أن يرى المشاكل التي سيعاني منها الطلبة في الجامعات حال عدم دراسة الكيمياء في المدرسة؛ فالكيمياء موضوع له مكانته في مختلف التخصصات من طبية وهندسية وحياتية وبيئية وزراعية وجيولوجية وغيرها. فهو بالنسبة له - كما يتفق الكثيرون معه - موضوع حياة يتعامل مع مواد هذا الكون من حية وغير حية، وهو موضوع ديناميكي تتولد المعرفة فيه بتصاعد سريع.

علماء المستقبل

لقد مارس الدكتور موسى دوره كمعلم خير قيام؛ يكسر قيود الفكر ويحفز على التفكير الحر والعمل الدؤوب. ولعل النشاط الأكثر قرباً لقلبه ويمده بسعادة خاصة هو رعايته لطلبة المدارس بكافة المستويات، فلا يترك فرصة لزيارة المدارس سواء ابتدائية أو ثانوية إلا وزارها ملتقياً بالطلبة منذ نعومة أظافرهم، ليكون ملهماً ومحفزاً لهم، ليفكروا بحرية ويواصلوا البحث والتساؤل والعمل لتحقيق أحلامهم.

عندما كنا نذهب بمعية الدكتور موسى لرعاية نشاط مدرسي، كنت ألحظ عيون الطلبة وهي تنظر له بكل مودة وإجلال وتقدير، وهو يستمع إليهم بحنان أبوي، وهم يشرحون له أفكارهم ومشاريعهم، مغلفة بآمالهم وطموحاتهم، ويكون لهم المرشد والناصح والمشجع.

ولعل رعايته لمشروع علماء المستقبل والذي بادرت بإنشائه السيدة سريا

عياد - إحدى خريجات القسم عام 1989 لأحد الأمثلة على ذلك. تقول السيدة عياد: «عدت إليه بعد تخرجي بعشرين عامًا أطرح عليه فكرتي وبعض زميلاتي في تأسيس جمعية ثقافية علمية تطوعية، تعنى باكتشاف قدرات الأطفال والشباب وتنميتها وتمكينها، فكان - ولا زال محفزًا- داعمًا مهتمًا واثقًا من النجاح، فتح لي أبواب التواصل مع الجامعة وكلية العلوم على وجه الخصوص، حتى رأى مشروع علماء المستقبل النور، وتابع الفكرة وشارك الأطفال واليافين أفكارهم، لم يتخلف عن أي حدث يخص هذا المشروع منذ تسع سنوات. عشرة أعوام من عمر الجمعية وإنجازاتها الطيبة على الصعيد الوطني والدولي، نرجو أن تكون في ميزان أعماله إلى يوم الدين. كما كل تلامذته الذين ترك فيهم أثرًا طيبًا كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء».

وعن تجربتها مع الدكتور موسى خلال فترة الدراسة فتذكر سريًا: «حدث أن كان للدكتور اختبار في الكيمياء العضوية ربما في العام 1988 وتصادف مع هذا الموعد اجتماع هام له في مديرية المناهج - فهو له بصمات وأثر مميز في مناهج العلوم المدرسية- لم يؤجل أستاذنا الاختبار بل طلب من الطلبة الذهاب إلى سكرتارية القسم، وأخذ مغلف أوراق الاختبار وتقديم الاختبار تمام الساعة الثانية عشر في القاعة المخصصة، وجمع الأوراق تمام الساعة الواحدة بدون تأخير وبدون مراقب وإعادتها إلى سكرتيرة القسم. كان بإمكان أستاذنا أن يرسل من ينوب عنه، لكنه أراد أن يكون موقفًا تربويًا، فلم يتخلف أحد ولم يمارس الغش أحد. لم يعطنا محاضرة ولم يتكلم في الموضوع أبدًا بل تركه درسًا عمليًا عميقًا تعلمنا ولمسنا به ثقة المعلم بطلبته، الصدق والثقة المتبادلة، الاحترام، الالتزام بالوقت، المسؤولية الفردية والجماعية وغيرها من القيم التي لا يمكن أن يكتسبها الإنسان إلا بمثل هذه المواقف العملية. هكذا هو أستاذنا لم يعلمنا بكثرة الكلام والتوجيه والتنظير، إنما بالأفعال والمواقف. قامة علمية عز نظيرها له أثر كبير على كل من

علمه في غزارة العلم وعمقه، نقل الأثر في الشغف العلمي، وحب التعلم والتعليم في المثابرة والصدق والتأني والصبر على التعلم، تلك الروح التي تسري بين طلبته وكل من تتلمذ على يديه، قدوة حسنة، صبر وعطف على الأخطاء، أب حانٍ ومعلم فذ وباحث ملهم».

وتتوالى الشهادات

ويستحضرني هنا ما أحببت الدكتور خديجة العبروني مشاركته في تأثير الدكتور موسى الناظر على حياتها. فقد ذكرت: «بدأت لحظات تعلقي في الكيمياء مطلع السنة الثانية في مرحلة البكالوريوس عند الساعة الثامنة صباحاً، كنت قد سجلت الكيمياء العضوية 1 مع أستاذنا المربي والمعلم الفاضل الأستاذ الدكتور موسى الناظر. كانت الدهشة كبيرة من أسلوبه العميق ونظرته الدقيقة لمفاهيم الكيمياء العضوية، وعطائه وسعة صدره في شرح أي فكرة لم يفهمها الطالب. كان لأسلوبه الوقع الكبير لدي عندما بدأت تدريس الطلبة في الجامعة، وأن أخطو على درب أستاذنا الفاضل في نظرتي العميقة للمفاهيم والحديث بحب عنها. وخلال دراستي في مرحلة البكالوريوس لم أتمكن إلا من دراسة الكيمياء العضوية 1 و2 مع الدكتور موسى. وكنت أنتظر السنة الرابعة بكل شغف حتى أتمكن من تسجيل البحث العملي معه. وفي هذه المرحلة بدأت أقطف من سعة علم الدكتور موسى الكثير، وتعلمت منه أن أضع لكل شيء مكانة وأسعى إلى إتقان الأشياء. وفي موقف له أثر كبير في نفسي، عندما أنهيت مشروع الماجستير مع الأستاذ الدكتور موسى أبو زرقعة وقمنا بتحديد اللجنة، و بانتظار موعد المناقشة، وإذ بالدكتور موسى أبو زرقعة يخبرني أن اللجنة تغيرت وأن الدكتور موسى الناظر يرغب أن يكون في لجنة مناقشتي، لحظة لن أنساها بدأت بالبكاء. هل كنت أخاف من دقة أسئلة الدكتور موسى الناظر؟ أم أنني بكيت من سعادتي وفخري أن أستاذي الفاضل أراد أن يكون في لجنتي! نعم منذ تلك اللحظة له الفضل الكبير في تعزيز ثقفتي في نفسي، الدكتور

موسى الناظر له نظرة عميقة للأمور، يفتح آفاقاً جديدة في حياة طلبته، يفتح لهم أبواب الإلهام والإبداع، ويحفزهم على استكشاف عوالم جديدة. إنه ينقل لهم لغة الفهم والتحليل، مما يمكنهم من التفكير بشكل عميق وبناء رؤى فريدة، وأشعر بأنني كنت محظوظة جداً لأكون إحدى طالباته».

سحر النرجس

إن من يعرف علاقة الدكتور موسى بالزراعة وبالزهور تحديداً، لا يستغرب أبداً إذا قيل إن رعايته لطلابه أقرب ما تكون لرعايته لحديقة الزهور في منزله، يتابعها بكل حب وانتباه، يزيل ما قد يؤثر سلباً على نموها ويزودها بكل ما تحتاجه من ظروف لتنمو بأفضل ما يمكن.

في مثل هذا الوقت من كل عام، نترقب زيارة أستاذنا بكل شوق. يأتينا وهو يحمل كيساً صغيراً ويضعه على الطاولة بتأنٍ. وبابتسامته الحنونة وصوته الهادئ يمد يده ليخرج باقات النرجس وقد حان قطافها وجاء موعد مشاركة جمالها ورحيقها مع ثلة مقربة من طلبته وأصدقائه. كل زهرة تروي قصة رعاية المعلم لطلبته، قصة حب وعطاء واحترام، مرسومة بألوان الفرح والأمل. يعبق الهواء بعبير الزهور، وتتحول اللحظة إلى فصلٍ من الجمال والمودة، يحمل في طياته وجهاً آخر للارتباط الأزلي بين الأرض والسماء.

ويستحضرني ما قالته طالته ياسمين العامودي: «بعض العلوم تنسى وبعضها يذهب في ذاكرة النسيان ولكن بعض من أعطاك هذه العلوم يترك بصمته كل العمر. في محاضراته لم تكن المعلومة العلمية فقط هي الهدف، بل كل الخبرة والشغف الذي كان يعطيه. كنت محظوظة لأنهل من علمه في مواد البكالوريوس والماجستير، لتبقى بصمة المعلم الرائع والقدوة الحسنة مزروعة بروحي طول العمر. تعلمت منه كيف أن المدرس قدوة، كيف أن النرجس حين يهدى - ونحن على سرير المرض - من أستاذ عريق مثل الدكتور موسى، لا يترك فينا إلا شعوراً كبيراً بالامتنان: امتنان

العلوم وامتنان الخبرة وامتنان القدوة وامتنان السعادة، ندعو للدكتور موسى بالعمير والصحة. فكل ما تركه فينا هو زهور نرجس عطرة مليئة بالعنفوان. علمنا أن الأستاذ قدوة وحنان وتوجيه راقٍ، علمنا أن نعطي الطلاب كما نعطي الأرض ونزرعها، ولا بد للثمر أن يثمر ويزهر. أطال الله عمرك أستاذنا الرائع».

رحلتي مع المعلم الأستاذ الدكتور موسى الناظر

اسمحوا لي في هذا المقام أن أذكر شيئاً من رحلتي مع المعلم والمربي والموجه الأستاذ الدكتور موسى الناظر:

دخلت المحاضرة الأولى بحياد كامل، فلم تكن الكيمياء العضوية من مواضيعي المفضلة، بل كنت أجدها موضوعاً جافاً يحتاج للحفظ، مليء برسومات معقدة تصل بينها أسهم لتشير لرباط بينها. وبدأت عملية فك الطلاسم، تفكيك وتركيب وطرح الأسئلة. وكان الجزء الأصعب هو انتظار الجواب. لم نكن قد اعتدنا على دورنا التفاعلي بعد، وكان السؤال يتبعه سؤال آخر يحمل في طياته إضاءة لطريقة التفكير للوصول إلى إجابة. وما بين سؤال وآخر، يحفزنا لنفكر ويربطنا بالموضوع شيئاً فشيئاً، حتى يصبح البحث عن إجابة شغلنا الشاغل. وتبدأ مرحلة البناء ونكون شركاء بالمعلومة لا متلقين لها. وتقدم مقعدي في المحاضرة من الصفوف الأخيرة إلى الصفوف الأولى، ووجدت نفسي متعلقة بالموضوع وأعود للبيت وكلني رغبة وتحد لإيجاد أجوبة، وصارت الكيمياء العضوية ضمن دائرة المواضيع التي تحتاج مني إلى البحث والمعرفة، وأصبحت أقرأ الفصول قبل شرحها استمتاعاً وتحدياً. وحدي أصبحت أستطيع فهم الموضوع بسهولة ويسر، فتخصصت بها وأصبح الربط بينها وبين جوانب الحياة المختلفة متعة معرفية. أليس المعلم ملهماً ورسولاً! إن من يلمس قلبه وعقله حب المعرفة، لا يروى أبداً ويبدأ طريق عشق لا يعرف له قرار. ويبدو أن أستاذي الدكتور أبو زرقة قد كان له سلوك مشابه بأن درس ذاتياً الكيمياء العضوية 3 خلال العطلة، وذلك بعد أن فهم من الدكتور الناظر كيف يفكر.

ويفتح الدكتور الناظر لي باباً آخر للتعلم هو التعليم، وتبرز أهمية العطاء ومساعدة الآخرين من الطلبة وإرشادهم. فقد أتاح لي فرصة أن أساعد في تدريس المواد العملية. يوماً بعد آخر أصبحت مرتبطة بالقسم وأصبح قسم الكيمياء كبيت ثان لي. ويستمر الدكتور موسى بتشجيعي وتقديم النصح وفتح آفاق جديدة، أكملت الدكتوراه وتعينت في القسم، وتشرفت بالتدريس والتأليف والترجمة وتنظيم العديد من النشاطات بمعية الإنسان والمعلم الدكتور موسى الناظر.

الباني والمؤسس من جيل إلى جيل

لو أردت أن أوجز أثر الدكتور موسى في بضع كلمات لقلت إنه يلهم الأمل، يشعل الخيال، ويغرس حب التعلم. فهو مصدر للأمل لطلابه؛ إنه يؤمن بإمكانيات كل فرد، ويشجعهم على السعي نحو النجاح، ويمكنهم من تجاوز التحديات وتحقيق أهدافهم، ويؤمن أن التعليم ليس مجرد نقل للمعلومات، بل هو تعزيز الإبداع والخيال؛ فيحفز عقول طلابه، ويشجعهم على التفكير بشكل نقدي، واستكشاف أفكار جديدة، وتصوّر إمكانيات خارج الأفق التقليدي.

أما زراعة حب التعلم فقد غرس الدكتور موسى حباً مستداماً للتعلم. وأوجد بيئة جاذبة وداعمة تجعل التعلم ممتعاً. يتجاوز هذا الشغف حدود الفصل الدراسي، حيث يؤثر على الطلاب للسعي وراء المعرفة واكتساب المهارات طوال حياتهم، فهو ليس فقط مصدرًا للمعرفة ولكنه أيضًا مرشد يشكل شخصية وطموحات طلابه. ويسهم بشكل كبير في التنمية الشاملة للأفراد والمجتمع بأسره.

إن الدكتور موسى ليس مجرد معلم، بل هو رمز للإلهام والقُدوة، ترك بصمة لا تمحى في قلوب طلابه، حيث يتراقص الاعتزاز والامتنان في كلماتهم وأفعالهم، ويستحق منا أن نقف له تبيجلاً لنعبر عن الاحترام والتقدير الذي نكنّه له.

بصمات د. الناظر في شخصيتي

أ. تمارا الزمر⁽¹⁾

التحقت طالبةً بكلية العلوم في الجامعة الأردنية في العام الدراسي 2001/2002، وبعد أن قطعنا العام الدراسي الأول في الجامعة كان علينا اختيار التخصص العلمي ضمن كلية العلوم، وتماشياً مع حبي للكيمياء النظرية التي تعلمتها بالمدرسة، وانبهاري بالألوان والروائح التي كنت أرقبها من خلال المرور في طابق مختبرات الكيمياء في عامي الجامعي الأول فقد انحزت لتخصص الكيمياء بلا تردد.

تعرفت على شخصية د. موسى الناظر في سنتي الجامعية الثالثة، فقد كنت إحدى طلبته في مادة الكيمياء العضوية المتقدمة. لا زلت أذكر حتى اليوم محاضرتي الأولى في هذه المادة، دخلت قاعة المحاضرات فوجدت محاضراً وقوراً، يتحرك بتؤدة، ويتحدث بصوت هادئ وبتسارع بطيء. فضلت وقتها - أنا السريعة الملل كثيرة الحركة - أن أجلس في مقعد في الصفوف الخلفية من القاعة ليتسنى لي المراقبة عن بُعد لاكتشاف الوضع. بدأ المحاضر الشرح واستخدم السبورة بطرح مثالين انتقل بينهما بهدوء شديد، دون أن يوجهنا إلى كتابة تلخيص مختصر لما يشرح، وكان الدارج في كل المساقات الجامعية أن يكون ثمة ملخصات ما، نكتبها في المحاضرة ونراجعها وقت الاختبار، لكن د. موسى قال وقتها إن علينا القراءة

(1) تربوية، تحمل درجة البكالوريوس في الكيمياء، ودرجة الماجستير في الموهبة والإبداع، عضو لجنة العلوم في منطقة جنوب عمان/ الأونروا.

المعمّقة في الكتب التي أوردتها في خطة المادة الموزّعة علينا، أو في غيرها! ولتكتمل الصدمة نبّهنا المحاضر يومها إلى أنّه يتبنّى سياسة الاختبارات القصيرة الدّورية إضافة إلى الاختبارات الجامعية المعتمدة في الأجندة الجامعية.

توالت محاضرات الكيمياء العضوية المتقدّمة، والمادة تدرّج نحو الزّحم والعمق. وأنا تدرّجتُ في مقعدي في المحاضرة من الخلف إلى وسط القاعة، ثمّ صرّتُ أتعمدُ الحضور مبكراً لأحجز لي مقعداً في الصفّ الأول، فقد كانت أول الدروس التي تلقّيتها من د. موسى أنّ العبرة ليست في علوّ صوت المدرّس أو تلوّن طبقاته، إنّما العبرة كلّها في الكلام ذاته، ومقدار ما يحمل من علم وأثر. كانت طريقته في تدريس الكيمياء العضوية متميزة، أخرجتنا من نمط الحفظ للمعادلات العامة ومجرّد التطبيق عليها إلى التحليل العميق، والتنبؤ بنتائج التفاعل اعتماداً على السلوك العام للذرات والمجموعات الوظيفية في المركّبات العضوية، وصارت أصعب المهمّات - التي كنّا نخاف فيها أن ننسى الناتج - أمتعها؛ لأنّك تستطيع بناء الفرضيات للنواتج الممكنة ثم اختيار الأكثر منطقية منها.

أمّا قصة الاختبارات القصيرة فلم تكن مجرد وعيد زائف، بل سياسة طبّقها د. النّاظر معنا في المادّة، تدرّجت علاماتي في هذه الاختبارات من صفر إلى 4 درجات، إلى 6، ثم بدأت أحرز العلامات الكاملة فيها. ولعلّ هذا التدرّج يعكس تطوّر نمط التفكير لديّ كطالبة خلال الفصل الجامعيّ، حيث كانت الأسئلة تبنى بطريقة ذكيّة، لتقيس مهارة محدّدة لدى الطالب، ولا تعتمد على الحفظ فقط، بل كانت من نمط الاختبارات التي تحكّ دماغك ليمارس مهارات التفكير المتوسطة والعليا، وأعترف أنّ في حلّها لدّة خاصّة! وهكذا فقد كنت حريصة خلال مسيرتي التعليمية كمعلّمة - فيما بعد- على بناء الاختبارات بطريقة تُنصف الطلبة، وترتقي بنمط التفكير لديهم نحو الأفضل.

قرّنا في الدّفعة ألاّ نكتفي بهذا القدر من الفائدة من هذا المعلم المعطاء،

ورغب كثيرٌ منا في دراسة مساقٍ آخر مع د. الناظر، لكنَّ معظم المساقات التي يختصُّ بها كانت لطلبة الدراسات العليا. حاولنا مع رئاسة القسم متمثلةً بالدكتور محمود علاوي، ونقلنا رغبتنا للدكتور الناظر نفسه، وللحقِّ فقد كانت استجابته أكثر مما كنا نأمل، إذ وافق على تدريس مساق مختبر الكيمياء العضوية المتقدم! قدرنا ذلك كلَّ التقدير، ونحن ندرك تمامًا أننا حظينا بفرصة لم يحظَ بها طلبة البكالوريوس في قسمنا منذ عدَّة سنوات. كان هذا المساق الجامعي دسماً جدًّا، كنَّا نجتمع بدايةً في قاعة تدريسية ليشرح د. الناظر ويوضِّح، ثمَّ نتقل إلى المختبر وهناك يستمرُّ العمل ما يقارب خمس ساعات متواصلة، نختبر فيها المجموعات الوظيفية في المركبات العضوية، ونكشف عن عيّنات عضوية مجهولة لتتوصَّل في نهاية المطاف إلى الصيغة الكيميائية للمركَّب. وأعتبرُ مختبر العضوية المتقدم أجمل اللابات وأكثرها تعبًا وأعمقها تعليمًا. كان د. الناظر يرافقنا إلى المختبر، ويبقى هناك مطوَّلاً، يتلقَّى استفساراتنا ويساعدنا في حلِّ المشكلات بطريقة ذكيَّة، فإذا طرحتَ عليه سؤالًا معقدًا فلن تتلقَّى إجابة مباشرة، لكنَّه سيفتت السؤال الكبير إلى أسئلة أبسط يطرحها عليك فتجيب، ثمَّ يتدرج معك بمجموعة متتالية من الأسئلة الاستقصائية الموجهة فتمكِّن أنت من ربط هذه الإجابات معًا لتتوصَّل وحدك إلى إجابة سؤالك الشائك! هكذا إذا تعلَّمنا أن نحلِّ المشكلة إلى أصولها الأبسط وننطلق مما نعرف للتوصَّل منطقيًّا إلى ما لا نعرف، ثمَّ نختبر لتتأكد، وإن كان خطأً فلا بأس من إعادة المحاولة.

كان لهذا المختبر علينا كطلبة أثرٌ علميٌّ كبير، فقد خضنا فيه الكثير من النقاشات العلمية مع الزملاء ومشرفات المختبر من طلبة الماجستير الزميلتين خديجة العبروني، ومها أبو دولة، وكان الجوُّ العام غنيًّا بطرح الأسئلة حول اختبارٍ لم يُظهر النتيجة الصحيحة، أو عيِّنة كيميائية عصيَّة عن كشف مجموعاتها الوظيفية، أو أسباب الفشل في بلورة مركَّب تجمِّع في قاع الدورق على هيئة راسبٍ ناعم... وهكذا.

أذكرُ أنني عجزتُ يوماً عن تفسير ظاهرةٍ طرأت لي خلال العمل المخبري، فتوجَّهت إلى طاولة الدكتور الناظر لأطرح عليه السؤال، كان يقف قبلي اثنان من الزملاء للاستفسار والمشورة، ووقفتُ أنتظر دوري وعقلي يعصر الأفكار ويحلل ويحلل، فجأة توصلت إلى الحل في تفسير ما يقلقني، لكنني لحظتها كنت قد صرْتُ وجهًا لوجه مع د. موسى وقد حان دوري، شعرتُ ببعض الإحراج: «كنت أريد أسألك عن أمرٍ ما، لكنني توصلت للإجابة خلال انتظاري هنا!». أشرق وجهه يومها وابتسم «هذا بالضبط ما أحبُّ أن تصل إليه قدراتكم ومهاراتكم... لا تتوقفي عن طرح الأسئلة، ولا تتوقفي عن التفكير!». حتى آخر لحظة في هذا المساق، في الاختبار النهائي للمادة - ولم يكن بالطبع اختباراً هيناً - مرّ بنا د. الناظر مطمئناً وكانت البذرة الأهم التي يسعى لغرسها «فكروا جيداً، خذوا وقتكم في التفكير ثم اكتبوا؛ لأنَّ اللحظة التي ستبدأون فيها بكتابة الإجابة عن السؤال سيتوقف الدماغ عن التفكير فيه». مع انتهاء هذا المساق كان ثمّة شيء ما تغيّر في تلافيف دماغي وطريقته في التحليل والتعمق في التفكير، ولا زلت حريصة الحرص كلّ على غرس بذور التفكير الناقد العلمي في عقول طالباتي في مختلف مراحلهنّ التعليمية.

إنّ كل من يعرف د. الناظر عن كذب يدرك تماماً أن هذا الرصيد العلميّ التعليميّ العقليّ الرائع لديه يوازيه رصيّدٌ روحيّ نفسيّ نقيّ راقٍ، وإن كان يسهل على الطالب اكتشاف متانة الجانب العلمي لمعلّمه سريعاً خلال بضع محاضرات، فإنّ عمق الروح الإنسانية وتواضعها ورقّتها ليُكشَفُ من مواقف صغيرة تلقائية تجمعها من باب الصدفة البحتة، كان د. موسى أباً حاني القلب فمثلاً إذا استدعى الأمر استخدام مصباح الأشعة فوق البنفسجية للكشف عن بعض المركّبات الكيميائية كان يرفض أن أعرض كفيّ لهذه الأشعة، ويثبّت شريحة الكروماتوغرافي بنفسه ويعرضها للجهاز بنفسه، وعندما اعترضت على ذلك مرة قال لي: «أنا خلص، أنتِ لسّا صغيرة!»، فكيف لا أتعلم الإنسانية والإيثار؟

وفي فصلنا الجامعي الأخير، اقترحت الطالبات تنظيم رحلة ترفيهية تجمع الدفعة، ونخبٍ منها ذكريات حلوة، تمّ تشكيل لجنة صغيرة لتنسيق الأمور مع القسم والمدرّسين، وكنتُ إحدى أعضائها. لم يكن التنسيق كما اعتقدت هيناً، فالتوقيت والوجهة والعدد، كلّها كانت أموراً يجب أخذها بعين الاعتبار بحيث تتوافق مع كل المشاركين، مما استدعى تغيير التفاصيل أكثر من مرّة، واستياء بعض أعضاء هيئة التدريس وانسحابهم من المشاركة، لكنّ د. الناظر كان طويل الصبر شديد المرونة. أذكرُ أنني في نقاشي مع د. كمال أبو داري حول تفاصيل الرحلة المنويّ عقدها أوردتُ له أنّ د. الناظر حتى اللحظة هو الوحيد الذي لا توجد لديه اعتراضات أو شروط فقال لي: «د. موسى يا بنتي يصدق فيه الحديث الشريف: رحم الله امرءاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى!» فكان هذا درساً آخر في السماحة والمرونة.

على إثر ترتيبات أمور الرحلة وحصر العدد، سألتُ د. الناظر إن كان ثمة من سيرافقه في هذه الرحلة - ولن أنسى نظرة عينيه يومها - صمت هنيهة، ثم قال: «سأكون وحدي، التي كانت ترافقني راحت يا تمارا!» خرجتُ من المكتب دامعة العينين والقلب، أردّد بيني وبين نفسي «إنّ الحبّ والوفاء الحقّ... لا يغادران القلب وإن غادر من نحبّ».

ومن اللقطات التي سجلتها الذاكرة خلال مواسم البرد في فترة الدراسة الجامعية دخول الدكتور موسى إلى القسم بمشيته الهادئة حاملاً بيده باقة أو باقات من أزهار النرجس أسرة العبق، يزيّن مكتبه بقسمٍ منها، ويوزّع الباقي لأصحاب النصيب، ولا يزال حتى اليوم يحملُ للقسم من هذه النرجسات في كلّ موسم، بل إنّ تكرار المشهد والعبق مرّة تلو مرّة قد صنع رابطاً بين النرجس ود. الناظر في أذهان الكثيرين منّا، وعلمنا التقاط الجمال ونشره في البيئة المحيطة.

كانت شخصية د. موسى سمحة هادئة، لا أذكر ولا مرّة خلال تعاملنا الممتد

معه بمختلف المواقف، وعلى اختلاف الفئات أنني رأيتُه ساخطاً أو عابساً أو غاضباً، لكنّ هذا الهدوء والتأني في الكلام يرتبط بما يناقضه للوهلة الأولى من النشاط الشديد والدافعية الكبيرة للإنجاز والتشجيع الدائم للطلبة على بذل الجهد وتطوير الأداء. كنّا نراه يعالج المشكلات الطارئة بنفسه، وهو الذي يطلبُ فِطْاعَ حبّاً وتقديراً. اختفى في مستودع مختبر العضوية فترة من الوقت خلال اللاب، وخرج بيده جهاز يعلوه الغبار، نظّفه بنفسه ووصله بالكهرباء فإذا الجهاز مخصّص لقياس درجات انصهار العينات العضوية، وكان قد تذكّره عندما رأنا في المختبر نقيس درجات الانصهار بآلية ميكانيكية تأكل من الوقت والجهد، وتعرّض للخطر! «ما هذا يا دكتور؟»، «يا تمارا، هذا الجهاز وغيره اشتريناهم عندما تمّ بناء القسم وتجهيز مختبراته، تلف جزء منهم مع الاستهلاك، لكنّ هذا بقي سليماً كما ترين، فلمْ نبقه بالمستودع تعلوه الأغبرة!». تعلّمت تمارا هنا مبدأ «اخدم نفسك، ولا تنتظر أحداً ما دمت تستطيع!».

مرّت السنة الرابعة سريعاً - كما كلّ الأوقات الحلوة- وعندما شارفنا على الفصل الجامعيّ الأخير قررت أنا وصديقتي المقربة رشا عاشور أن نسجّل ساعات إضافية على الجدول الجامعي يتمثّل في تدريب عمليّ في المختبرات الجامعية، وكان خيارنا الأول المزيد من الاستفادة من خبرات د. الناظر. وهكذا كان، فكانت فرصة ثمينة لدخول مختبر أبحاث، والتمتّع بحريّة أكبر ومسؤولية أكبر، ومحاولة تصميم مخطط مبسّط لبحث علميّ، كما كانت فرصة رائعة للتعرف بشكل أكبر على طالبة رائعة من طلبة الدكتور موسى في الدراسات العليا كان قد ذاع صيتها وقتئذٍ، وكنّا نسميها فيما بيننا «إسراء بنت د. الناظر».

كانت الطالبة إسراء خلف مثل دكتورها المشرف هادئة، متأنية، ذكيّة. وعليه فقد كان المختبر منظّماً، منسقاً، والحوارات منطقية، تحليلية، عميقة. وكذلك كان من طلبة الدكتور موسى المتميزين الطالبة نفيسة الرفاعي التي أنهت مرحلة

البكالوريوس مع الدرجة السابقة لنا، ثم انضمت مباشرة لدراسة الماجستير لتحظى بإشراف د. موسى. أذكر أنّها كانت تلقّب نفسها «نفيسة العلم» وقد كانت كذلك حقاً، كلّ مليمتر من طاولة المختبر خاصّتها كان أخذاً في تربيته ونظافته، وكانت تلاخيصها دقيقة مرتّبة أنيقة. ثابرت وتابعت حتى أتمت درجة الدكتوراه في الكيمياء بجامعة مرموقة، ولا زالت تربطني مع إسراء ود. نفيسة حتى اليوم علاقة طيبة محبّة. رأيتُ في طالبات د. موسى أنّ المعلم يطبع في شخصية طالبه بعض سماته بلا جهد منه أو تخطيط، إنّما هو الاحتكاك المباشر، والمواقف الصغيرة، ومحاولات حلّ المشكلات التي تعيق الطريق. وهكذا حملتُ معي فكرة أنّ المعلم بكّله - علمه، وتفكيره، واتجاهاته وسلوكه- إنّما هو منهاجٌ خفيّ يقرأه المتعلم ويتسرّب به.

مع انتهاء الفصل الثاني في السنة الرابعة، قرّر قسم الكيمياء إقامة احتفالية صغيرة للطلبة الخريجين برعاية الجمعية الكيميائية في الأردن، وكانت فعالية جميلة جدّاً، تضمنت بعض الفقرات العلمية والكلمات المؤثرة التي ألقاها الطلبة تحمل في ثناياها الشكر والتقدير وتستذكر الذكريات التي عشناها معاً خلال رحلة البكالوريوس. وفي هذا الحفل كشف لنا د. موسى عن موهبة جديدة تفاجأت بها شخصياً.

كانت قد خصّصت فقرات في هذا الحفل لأعضاء من الهيئة التدريسية في القسم، تحدّثوا جميعاً بكلام طيب حمل في طياته التشجيع، والحث على الاستمرار في طلب العلم، ونقل أثر التعلّم، لكنّ كلمة د. الناظر كانت ذات نكهة مختلفة، ولغة عربية متينة، وبنى لغوية ثريّة وتشبيهات وكنيات ساحرة. أذكر أنني ذُهِلت، فأنا التي أتذوق العربية جيّداً، لم أتخيّل أنّ هذا الذي أتمّ دراسته الجامعية في جامعة هارفرد، وقرأ المئات من الدراسات العلمية، وأشرف على كتابة العشرات من الأبحاث أيضاً لا زال لسانه طليقاً بلغته العربية بهذا القدر من المرونة، وبهذه القدرة على توصيف الأفكار والمشاعر والأحداث!

وقد أتحفني مرة أخرى بكلماتٍ خطَّها في دفتر التخرُّج خاصتي، تحمل في طياتها التقدير، وتحثُّ على ما حَصَّننا عليه دائماً وأبداً حيث خطَّ لي:

«كنزكم في عقلكم، قيمته في ما ينجزه وليس في ما يخزنه. امنحوه حرية الانطلاق! دعوه يمارس ما يستطيع، وظفوه فيما ينفعكم وينفع غيركم.

سعدتُ بما لمستُ من حماس ورغبة لديك نحو العلم وإتقان العمل، وفقك الله في كل ما تعملين»

د. موسى الناظر

23-6-2005

وللحق فقد رافقتني عبارته الأولى منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، ولعلها شكَّلت خطأ رئيسياً في شخصيتي ودافعتي للإنجاز ونفع الآخر ما استطعت!

لكنَّ حظِّي في الاطلاع على ما يجول في خاطر د. موسى وما يخطُّ قلمه لم يتوقف عند هذا الحدِّ. فبعد بضع سنوات من تخرُّجنا ثارت تكنولوجيا الاتصالات ثورتها، وانتشرت مواقع وتطبيقات التواصل الاجتماعي. غدوتُ صديقة للدكتور موسى على موقع الفيسبوك الأزرق وصار متاحاً له أن يشاركنا ما يجول بخاطره من أفكار وما أثرته به التجارب والخبرات بلغته الرشيقة المتينة، التي تحفها روح رقيقة صافية. كتب لنا د. الناظر عن الوطن، وعن العلاقات الإنسانية، وعن النحل، وعن الوفاء. كتب عن أصدقائه، وعن ذكرياته، وأزهاره. وتعلَّمتُ أن أكتبُ أنا أيضاً وأشارك من يعرفني، فلا ضير أن أكون كيميائية تحبُّ العلوم وأكتب في الوقت نفسه في مواضيع إنسانية أو اجتماعية؛ ما دام لديَّ لغةٌ سلسة ورسائل إيجابية قد تنفع الآخرين فلا تحدتُ.

بعد مرحلة الدراسة الجامعية انطلقت إلى العراق الحقيقي في مسار الحياة حيث نحمل معنا تجارب الماضي لتتعامل مع مجاهيل المستقبل ومواقفه. تعيَّنتُ

معلمة للعلوم والكيمياء في أحد القطاعات التعليمية، وانخرطت في هذا المجال أعلم وأتعلّم، وكنا نطلّ على قسمنا الذي نحب من فترة إلى أخرى نلتقي بزميلاتنا ونحضر بعض مناقشات الماجستير، وكان د. الناظر حاضراً في كثير منها، رئيساً لجلسة المناقشة، أو عضواً فيها، أو مستمعاً يجلس بين الحضور، فإذا التقينا بوقفة جانبية سأل عن الحال، وشجّع ودعم بكلمة طيبة وابتسامة دافئة. مرّت سنوات بعدها لألتقي بالدكتور موسى في عام 2013 في خضمّ تطوُّعي في جمعية «ابتكار لتنمية الإبداع» وهي جمعية ثقافية تعنى باكتشاف وتمكين قدرات الأطفال والشباب، وقد كانت الجمعية في بداية انطلاقها برصيد مادّي متواضع، ورصيد بشريّ إنسانيّ ثريّ! رئيسة الجمعية السيدة سريّا عياد كانت من خريجات قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، وتعرف كما يعرف الجميع أنّ شعلة الهمة في روح د. الناظر لا تخبو، وأنّه سيكون خير داعم لكل مشروع يخدم العلم ويشجّع عليه، فكيف إن كانت هذه المشاريع تنشر الثقافة العلمية ومنهجية العلماء في مدارس المملكة من شمالها لجنوبها؟! دعوانه في جمعية ابتكار ليشاركنا نفسَه الطيب في المعارض العلمية، وحفلات الانطلاقة لمسابقات علماء المستقبل، وتخريج المشاركين في دورات الإلكترونيات والمخيمات العلمية لمعلّمي العلوم، فكانَ حاضراً دوماً، داعماً أبداً بكلّ ما يستطيع من مشورة، وتوجيه، وكلمة طيبة ووجهٍ بشوش! فأكد لي في كلّ مرة شاركنّا فيها أنّ الأرواح المعطاءة لا تهرم، وأنّ علينا أن نغرس بذور العلم الطيبة حيثما اتجهت خطواتنا!

رشّحني د. موسى عام 2018 كعضو تحكيم في حفل الابتكارات العلمية في مسابقة «أبداع» التي تقيمها وترعاها مؤسسة عبد الحميد شومان، وقد كان هذا سبباً لمشاركتي كعضو تحكيم، أو عضو تدريب في هذه المسابقة على مدى ثلاث سنوات متتالية، فكانت فرصة طيبة لي للتعامل مع هذه المؤسسة العريقة، والتعرّف بشخصيات علمية وازنة، وتلقّي المزيد من خبرات د. الناظر التربوية في وضع

المعايير التي من شأنها أن ترفع أداء المشاركين، فليس من الحكمة إعطاء أحدٍ المركز الأول لأنه كان «أفضل الأسوأ» حتى لا يظنّ هو أو غيره أن هذا المستوى من الأداء هو المستوى المطلوب! علّمني هذا الترشيح الطيب من الدكتور الطيب أن أفتح الأبواب لمن أتوسّم فيه الخير ليُفيد ويستفيد.

استمرّ تواصلني مع د. الناظر، وكانت تجمعنا من فترة لأخرى فعاليات علمية، أو اجتماعية، أو تجمعنا صفحات الفيسبوك، ولما أعربتُ له عن تسجيلي في برنامج الماجستير لتخصص «الموهبة والإبداع» -بعد سنوات طويلة من الانقطاع عن الدراسة- كان داعمًا ومشجّعًا، وقد أتى هذا التشجيع في أكثر المراحل حرجًا: مرحلة البداية: حين كنت أتساءل عن كمّ الجهد اللازم للمرحلة، وجدوى ما سيأتي عنها، ومرحلة النهاية: حين التحم ضغط الدراسة والعمل معًا وغدا الوقت يسابقني وأسابقه حتى أتمكّن من تسليم البحث في وقته المحدّد، فكان لرسائل د. موسى التي تلقيتها عبر الوتساب أثرٌ طيب، يخفّف عن النفس بعض أثقالها، ويمنحها ثقةً وأمانًا، كان يرسلها إليّ على هيئة صورة لرسالةٍ بخطّ اليد الأنيق، بأحرفٍ بشرية تحمل في انحناءاتها روحًا دافئة خاصة فقدتها الأحرف الإلكترونية التي روّضونا على اعتيادها! إنّه الجمال الحقيقي متمثلاً في إنسان... هكذا كانت تحدثني نفسي بعد أن أقرأ، ويزداد شعوري بالامتنان لهذا الرائع الذي تتلمذت على يديه!

لن أنهي هذه الورقة حول هذا الكيميائي الرائع قبل أن أنظرُق إلى المزارع الرائع فيه، فهو صاحب يدٍ خضراء، أحبّ الأرض وأحبّته، فرعاها وأعطته. شاركنا د. موسى كثيراً من المرات على صفحة الفيس بوك الخاصة به صورًا تأسر العين والقلب لأزهار حديقته بألوان وأشكال وأسماء كثيرة، أرضٌ يفتريشها الجمال الذي ينفُض عن الرائي الهمّ ويستلهم لسانه التسييح لخالق هذا السحر، في حديقة د. الناظر أيضًا شجرة «قراصيا» يحبّها وأنا أيضاً أحبّها والله! كيف لا وقد أهداني من ثمارها مربّى «القراصيا» الحامض الحلو الذي صنعه بيديه فأكله قلبي قبل لساني!

في هذا درسٍ خفيّ يقول أنّ المرء لا تكتمل سعادته إلا إذا شاركها مع الآخرين!
كثيراً ما يردد د. الناظر أنّ ثروة الإنسان الحقيقية والكبرى تتمثل في هؤلاء
الذين عرفهم وعرفوه، وشاركهم الطريق في جزء من رحلة العمر وشاركوه، الذين
أحبّهم وأحبّوه، وتفاعل معهم وتفاعلوا معه، وتأثروا بهم وتأثروا به!
في رأيي الخاص ثمة نوع من الجينات تختلف عن تلك الجينات الوراثية
التي نكتسبها من والدينا، أحبّ أن أسميها «جينات اجتماعية» نكتسبها رغماً عنّا،
وبلا تخطيط مسبق من كلّ من اصطحبنا في رحلة هذا العمر مدّة، ولا لمس الإنسان
في داخلنا بحقّ... لذلك فأنا لا أقول إلا الحقيقة إذا قلت «إنّ جزءاً من د. الناظر
موجودٌ في شخصٍ كلّ من عرفه وتلمذ على يديه».

الباحث الإنسان: منهجه العلمي وتفكيره الاستثنائي

أ. إسراء خلف⁽¹⁾

اليوم، عندما أتحدث عن البروفيسور د. موسى الناظر لا أتحدث فقط عن الباحث والعالم أستاذ الكيمياء العضوية الذي ألهمني وأشرف على رسالة الماجستير الخاصة بي، بل أتحدث أيضاً عن الإنسان والمربي والأب والملمه. لقد مر على بداية رحلتي مع د. موسى الناظر أكثر من عشرين عاماً اختفت كثير من تفاصيلها العلمية والعملية ولكن لم تختف أي من آثارها ونتائجها على حياتي الشخصية والمهنية والعلمية فرحلتني مع د. موسى لا تزال مستمرة لم تنقطع.

مما لا شك فيه أنني لن أوفيه حقه بوصفه كباحث أو حتى بوصف منهجه وأسلوبه البحثي، ولكن سأحاول من خلال ذكر بعض المواقف والعبارات التي ألهمتني وتركت أثرها علي أن أساعدكم في فهم وإدراك منهجه البحثي.

لطالما شجعني الدكتور الناظر على اتباع المنهج العلمي، هذا المنهج يتضمن مراحل الاستفسار والتحقق والتحليل. كان يشدد على أهمية مراعاة التفاصيل وتسجيل البيانات بعناية ودقة. وعلى كيفية تحليل البيانات واستخدامها لاستخلاص الاستنتاجات الدقيقة وتفسيرها بموضوعية وعناية.

(1) خبيرة في مجال الكيمياء، ومعلمة للكيمياء في المدارس الدولية الأردنية.

هذا المنهج لم يقتصر على أبحاثه الكيميائية داخل المختبر، بل كان نمط حياة يعيشه الدكتور موسى في كل لحظة في طريقه من المنزل إلى الجامعة. وفي حديقة منزله المزهرة والخلافة، وفي مطبخ بيته وغيرها من تفاصيل يومه. فقد كان هذا برأيه أهم أسباب نجاحه وتميزه كباحث.

لقد تجسد تأثير الدكتور في حياتي العلمية والشخصية، في عبارات بارزة تعبر عن حكمته وفلسفته ردها أمامي في مناسبات عدة أولها عبارة:

“Chance favors prepared minds”: «الفرصة تفضل العقول المستعدة»

بدأت رحلتي بهذه العبارة التي لطالما ردها د. موسى، وحرص على تفسيرها لي، ولا زلت أردها بدوري أمام أبنائي في البيت وطلابي في المدرسة.

فهذه العبارة تحمل في طياتها أساس النجاح العلمي، حيث يؤكد الدكتور الناظر فيها على أهمية التحضير والاستعداد الدائم للاستفادة من الفرص. فهو يؤمن بأن التحضير الجيد والاستعداد العقلي هما مفتاح النجاح في البحث. وهذا الاعتقاد لم يكن مجرد كلمات فارغة بالنسبة له، بل كان يعمل جاهداً على تزويدي دائماً بالمواد والأبحاث والنشرات العلمية لقراءتها والاستفادة منها في أبحاثي وجعلها ركيزة قبل البدء بتطبيق فكرة أي بحث. وكذلك أذكر حرصه على تسليمي نسخة من النشرة الإخبارية الدورية التي كان يتلقاها من جامعة هارفرد، مما يؤكد حرصه على متابعة ومواكبة العلم والبحوث الجديدة التي تسهم في تحضير وبناء الباحث والمفكر.

بالإضافة إلى ذلك، كان الأستاذ موسى دائماً منظماً بشكل استثنائي. يتابع كل التفاصيل بعناية فائقة، كان حريصاً على تدوين كل ملاحظة صغيرة أو كبيرة، ولم يتركها دون تحليل أو تفسير وهذا يظهر واضحاً في عمله العلمي. كان يعتني بجعل كل تجربة وبحث دقيقاً ومرتباً بشكل يجعل النتائج قابلة للتحليل والاستنتاج.

من هنا أذكر عبارة ثانية ذكرها لي عندما حصلت على بلورة غاية في الروعة كنت قد اعتقدت أنها للمركب الكيميائي الذي أحاول تحضيره عندها قال لي:

“It’s too good to be true” «إنها جيدة جدًا لتكون حقيقية»

هنا يعكس الدكتور الناظر التحفظ والتفكير الواقعي في تقييم الأمور. إن هذه العبارة تبرز ليس فقط إعجابه بالنتيجة، ولكن أيضًا حذره منها وقدرته على التفكير النقدي وتقييمه الواقعي للنتيجة والظروف المحيطة التي أدت إليها. حيث اتضح لاحقاً أنها للمذيب (DMSO) الذي استخدمته في التجربة وليس لمركب جديد. وعبارة أخرى لا أزال أنغنى بها.

“A good chemist is a good cook” «الكيميائي الجيد هو طباخ جيد»

تعتبر إشادة بمهارات الباحث الكيميائي، حيث يظهر أن الفهم العميق للكيمياء والعمل الدقيق في المختبر والقدرة على الإبداع والتجربة وكذلك الصبر وعدم الاستعجال والتأني في العمل، يمكن أن ينعكس إيجاباً على مهارات الكيميائي لتخرج به خارج أبواب وجدران المختبر وتلازمه وتصل إلى مطبخ بيته. فأسلوبه نمط حياة متصل داخل المختبر وخارجه.

من الجدير أن الدكتور موسى كان دائماً يولي اهتماماً خاصاً بالجودة في البحث، لا بالكمية. كان يحثني على التفكير العميق والتحليل الدقيق وعدم ترك صغيرة دون متابعتها وتحليلها، وهذا بالتأكيد يستغرق وقتاً، فلم يكن مهماً كم نشرة علمية أو مقالاً سيتم نشره، بل ما جودة المادة العلمية المقدمة في البحث. لقد كان لذلك أكبر أثر في توجيهي نحو رؤية تفضيل الجودة على الكمية في عملي العلمي وامتد أثره في حياتي إلى الآن.

لا يمكنني التوقف دون ذكر إبداعات الدكتور موسى في الكتابة ولا أحد الكتاب العلمية التي بلا شك تعد أحد أهم الصفات في الباحث أن يكون قادراً على

إخراج بحثه ونتائجه بطريقة علمية واضحة ودقيقة، بل وأذكر إبداعاته الأدبية،
فما أجمل أن تبدأ يومك بقراءة ما خطه الدكتور موسى في صفحته على الفيسبوك
(Facebook) وتذوب في جمال العبارات والتشبيهات الأدبية.

وفي الختام، إن الإرشاد الذي قدمه الدكتور الناظر لم ينته ببساطة بعد
تخرجي، بل تحول إلى مصباح يرشد خطاي على مر السنين. إن المعرفة والحكمة
والأسس الأخلاقية والعلمية التي أعطاها لي أثرت بقراراتي واختياراتي وحتى مسار
حياتي المهني والشخصي إلى الآن.

بهذا السياق، يبرز الدكتور موسى كشخصية استثنائية في تأثيره العميق على
حياة الطلاب والباحثين الذين تشرفوا بالعمل معه، فهو ليس مجرد أستاذ وباحث
محنك، بل هو أيضاً مرشد تجاوز تأثيره الحدود العلمية ليطلع بصمته في قلوب
وعقول الأجيال.

موسى الناظر: من فلسفة العلم إلى فلسفة التعليم

أ. د. فتحي حسن ملكاوي⁽¹⁾

تحية لمؤسسة شومان لتنظيم هذا التكريم للأستاذ الدكتور موسى الناظر،
وتحية للدكتور موسى الناظر وعائلته الكريمة،
وتحية للحضور الكريم.

لقد كان موعد هذا التكريم نهاية العام الماضي ليكون الدكتور موسى الناظر
ضيف العام في شومان لعام 2023، وتأجل ذلك إلى هذا الوقت نتيجة لما حدث
ولا يزال يحدث في غزة وفي فلسطين عامة. ولا يليق بنا إلا أن نقول شيئاً في ذلك.
نكتفي في هذا المقام بالدعاء بأن يرحم الله الشهداء ويشفي المصابين، ويلطف
بالمهجرين، ويحقق النصر المؤزر للمجاهدين.

أما بعد،

فإنّ الكيمياء والتعليم والتأليف والتدريب عناوين موضوع معرفتي وصلّتي
بالدكتور موسى الناظر، قبل أن نلتقي أعضاء في مجمع اللغة العربية الأردني.
يتفق المعنيون في ميدان التعليم على أنّ الأهداف العامة لتعليم آية مادة تتوزّع
في ثلاثة مجالات: المجال المعرفي، والمجال المهاري، والمجال الانفعالي.

(1) مدير إقليمي في المعهد العالمي للفكر الإسلامي ومتفرغ للكتابة والتأليف.

ويتفوقون كذلك أنّ لشخصية المعلم وأسلوبه التعليمي دوراً كبيراً في مدى تحقُّق مجالات الأهداف الثلاثة، ولا سيما المجال الانفعالي الذي يختصُّ باتجاهات الطلبة نحو المادة التعليمية ونحو معلِّمها. ولي في هذا المقام خبرةً مبكرة. ففي الصفين التاسع والعاشر من التعليم المدرسي، درستُ مادة الكيمياء على يد معلم سبّب لي النفور من علم الكيمياء والعلوم الطبيعية. وعندما بدأ تقسيم الطلبة إلى علمي وأدبي لأول مرة عام 1960-1959، اخترت الفرع الأدبي بسبب ذلك النفور، لكنّ المدرسة أجبرتني على الفرع العلمي لأسباب تتعلق بسمعة مدرسة الزرقاء الثانوية وكرامتها، حيث لم يستطع أن يحقق متطلبات الفرع أكثر من أربعة عشر طالباً ليدرسوا المرحلة الثانوية في كلية الحسين في عمان.

و شاء الله أن يكون مدرس الكيمياء في الصف الحادي عشر في كلية الحسين شاباً حديث التخرج من جامعة القاهرة، (مطيع أبو حجلة) اتصفت شخصيته بالتواضع والهدوء، بصورة أخذت تجذبني إلى الكيمياء، حتى إنني في الصف الثاني عشر تخصصت في الكيمياء لأصرف وقتاً أطول مع ذلك المعلم. وتوثقت صلتني به عندما تقرر أن يكون مكان الحصص الثلاث لتخصص الكيمياء في مختبر المدرسة، بعد الظهر، حيث أقضي مع ذلك المدرس وأمين المختبر مدة ساعة ونصف في المختبر حتى يحين وقت الحصّة بعد عطلة الظهر. وهذه الخبرة الشخصية مثال متكرر على حالات يتخصص فيها الإنسان في موضوع نظراً للتأثير الإيجابي لمعلم ذلك الموضوع، ومن المؤكد أنّ اسم الدكتور موسى الناظر يرد كثيراً في مثل هذه الحالات.

و حين حصلتُ على منحة دراسية لدراسة البكالوريوس في العلوم، في تخصص الرياضيات، أصررت على دراسة الكيمياء، وهذا ما كان.

بدأت بدراسة الكيمياء في جامعة دمشق عام 1962، قبل أن يلتحق الدكتور موسى الناظر بالجامعة الأردنية عام 1964، ولم أحظ بالتلمذ عليه. ولكنني عرفته، ثم عرفت عنه مبكراً، في عدد من المواقف أشير إليها بإيجاز شديد:

كنت مدرساً للكيمياء في معهد المعلمين بعمان اعتباراً من العام الدراسي 67-68، وكانت وزارة التربية والتعليم قد أنجزت إنشاء مبنى مختبرات المعهد، وكُلِّفْتُ بالإشراف على تجهيزات مختبر الكيمياء وتزويده بالمعدات والمواد. وتطلَّب الأمر أن أزور الجامعة الأردنية للاطلاع على ما كان في الجامعة من مختبرات، فكانت تلك الزيارة أوَّل لقاء مع الدكتور موسى الناظر.

كلفت في عامي 1969، و1970 بالإشراف على التربية العملية لطالبات السنة الرابعة تخصص كيمياء في الجامعة الأردنية في مدرسة زين الشرف بعمان، فكانت الطالبات كثيراً ما يتحدثن عن أساتذة الكيمياء في الجامعة، وكان أكثر ما ينصرف التنويه بالتقدير والامتنان إلى شخصية الدكتور الناظر وطريقة تعليمه وتعامله.

وفي عام 1972 بدأت وزارة التربية والتعليم بتأليف كتب جديدة، شاركت فيها بتأليف كتب الكيمياء للفرع العلمي والزراعي والصناعي. وهنا أتذكر كيف أنَّ اجتماعاً ضمَّني مع الدكتور موسى الناظر والدكتور عمر الشيخ في التخطيط لكتاب العلوم الطبيعية للصف العاشر. وكانت تجربة متميزة في أنَّ الكتاب يجمع بين مفاهيم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والأرصاد الجوية. وكانت الوحدة الأولى فيه عن التفكير العلمي وعملياته الضرورية للتعامل مع هذه العلوم. وقد أنجزنا تأليف الكتاب ودليل المعلم لاستخدام ذلك الكتاب، وبدأنا بتنظيم دورات تدريبية لتدريب المعلمين على تعليم مادة الكتاب، وكان الجزء العملي من هذا التدريب في مختبرات الجامعة الأردنية وبالتعاون مع الدكتور الناظر تحديداً. وقد تكررت هذه الدورات مدَّة أربع سنوات متتالية.

ثم كنت في مطلع التسعينيات رئيساً لفريق تأليف كتب العلوم لجميع المراحل الدراسية، وكان الدكتور موسى عضو لجنة الإشراف على التأليف. ولا أنسى موقفه الذي لا يُنسى في دعم طلب فريق التأليف من وزارة التربية التراجع عن قرارها الذي كان يطلب من الفريق اعتماد الترجمة وليس التأليف، فقرر اعتماد التأليف.

صحيح أن موسى الناظر أستاذ جامعي متخصص في الكيمياء، ولكنه عالم ومعلم. وكان مما أتذكره جيداً من حكمة الدكتور موسى الناظر أنه كان يهتم بتعليم طلاب السنة الأولى، وطلاب السنة الرابعة. ويعود هذا الاهتمام كما فهمته من الدكتور الناظر، أنه يريد أن يعيد تأهيل طلاب السنة الأولى للدخول في عالم الكيمياء، ولا سيما فيما يختص بعمليات التفكير العلمي، ومهارات العمل المخبري، فهو يتوقع أن كثيراً من الطلبة لم يُتَح لهم دخول مختبر كيمياء في التعليم المدرسي، وحتى أولئك الذين كانت لهم الخطوة بدخوله لم يمارسوا العمل المخبري بأيديهم، فغاية ما تعرضوا له هو أنهم شاهدوا مدرساً يقوم بإجراء تجربة. أما طلبة السنة الرابعة، فإن عدداً ليس قليلاً منهم سوف يصبح معلماً للكيمياء في المدارس، بعد أن درسوا مساقات تعليمية مختلفة في فروع علم الكيمياء، لكن معظم هذه المساقات لن تكون لها صلة مباشرة بالتعليم المدرسي، والذي يحتاجه معلم الكيمياء في المدرسة ثقافة علمية كيميائية تستوعب محتوى المنهاج المدرسي لتمكينه من تقديم هذا المحتوى بصورة واضحة، والأهم من ذلك في رأي الدكتور الناظر هو تطوير طريقة تفكير المعلم في الموضوع الدراسي، قبل طريقة عرضه للطلبة.

فمشكلة تعليم العلوم في الأساس هي الحاجة إلى تطوير عمليات التفكير العلمي واكتساب مهاراته. لكن التفكير العلمي ليس مقتصرًا على التفكير في موضوعات الكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم الطبيعية، وإنما هو منهج في التفكير المنظم الهادف في أي شأن من شؤون حياة الإنسان. والأساس في هذا المنهج في التفكير، كما نفهم ذلك من مداخلات الدكتور الناظر في اجتماعات مجمع اللغة العربية، أن يجتهد الإنسان في وضعه للمسألة التي يجري النظر فيها، فيضعها في موقعها الصحيح من مجالها، ويكون على وعي بسائر المعطيات ذات الصلة بها، وأن يصوغ السؤال الذي يحتاج إلى الإجابة عنه صياغة دقيقة.

أجل! موسى الناظر معلمٌ مثلما هو أستاذ جامعي، فهو صاحب رسالة تربوية

ومجتمعية، لا يكفي بتقديم مادة علمية متخصصة ويجري بحثاً علمية متخصصة، وإنما يوجّه هذه المهمة ويوظفها في أداء رسالة تربوية في مجتمعه. وعندما يكتب موسى الناظر مقالة في مسألة شخصية أو اجتماعية فإنه يكتب بلغة رصينة، وروح إيجابية، وعاطفة مشبوبة، وحركة هادئة. وحين يكون الحديث عن زميل له في الدراسة وأستاذ له في الجامعة، فإنك ترى الحديث يعكس علاقة المودة التي ربطته بالزميل أو الأستاذ، ومن المؤكد أن الروح الإنسانية عند موسى الناظر كان لا بد لها أن تستدرج روحاً مماثلة من زملائه أو أساتذته، فهو يؤكد أن العلاقة «لم تقتصر على نتاج علمي وبحثي، (وإنّما) تجاوزت ذلك إلى خدمات إنسانية». وعندما يكون الحديث عن أستاذ الكيمياء في الجامعة الأمريكية فإن الدكتور الناظر يصف العلاقة بذلك الأستاذ بأنها كانت تقوم على المحبة والتبني لتصبح مثلها العلاقة بين طلبته أنفسهم، حتى لا يتخرج الطلبة في مختبر ذلك الأستاذ «بشهادة أكاديمية فحسب، بل برصيد من المثل الإنسانية ومحبة الناس». وتمتد هذه العلاقة بين الأستاذ وتلاميذه وفيما بين تلاميذه كذلك، بعد التخرج إلى عقود متتالية.

نحن نعلم أن أمثال موسى الناظر من أساتذة الجامعات في تخصص الكيمياء في الأردن يُعدّون بالمثات، فلماذا يحظى هو بعدد من مناسبات التكريم في داخل الجامعة الأردنية، وفي عدد من المؤسسات خارجها، وعلى مستوى الأردن كله بوسام الحسين للعطاء المميز من الدرجة الأولى؟ ربّما يصحّ القول إن كل أستاذ جامعي في الأردن له قدر من العطاء المميز، لكنّ ما تميّز به موسى الناظر عن غيره استحقّ به من التكريم والتقدير ما لم يحظ به كثيرون غيره.

والعالم الحقّ حكيم وفيلسوف، حتى لو لم يقرأ كتاباً في الفلسفة أو يحضر درساً فيها. لكنّه أصبح عالماً بممارسته نشاطاً عقلياً منظماً وهادفاً، يسعى عن طريقه إلى امتلاك رؤية للعالم يكوّن بها الإنسان لنفسه عن نفسه وعن المحيط الذي يعيش فيه، وما قد يكون في هذا المحيط؛ ظاهراً منظوراً أو خفياً مستوراً، من الأشياء

والأفكار والعلاقات. ولا شك في أن هذه الرؤية للعالم تتأثر بنشأة الإنسان في البيئة الطبيعية والنفسية والاجتماعية، والنظام الفكري بمكوناته الثقافية وأطره المرجعية. ولكن شخصية الإنسان قادرة على إعادة تكييف هذه المؤثرات لبناء صورة تعرف الإنسان، عندما ينظر الآخرون إليه من الخارج، وتعرفه برؤيته هو لنفسه وللأشياء من حوله. ولذلك هي رؤية كلية، وتصور شمولي، ونموذج تفسيري، .. أنا أتحدث عن رؤية للعالم... هل هذا حديث في الفلسفة؟

أجل! أنا أتحدث عن الفلسفة، وعن العلم، وعن الإنسان! فمصطلح رؤية العالم قد استخدم على نطاق واسع في دراسات فلسفة العلوم. وكان المصطلح يرتبط ارتباطاً مباشراً بفهم الإنسان لبنية العالم الطبيعية- المادية، وعلاقة مكونات هذا العالم ببعضها، وموقع الإنسان في هذا العالم، وسبب سلوك ظواهر العالم على الصورة التي نلاحظها، والطريقة التي يفهم فيها الإنسان هذا السلوك، وقدرة الإنسان على توظيف ذلك كله في جلب ما يحتاجه من مصالح، ودرء ما يدركه من مفساد.

ويزداد تقديرنا لهذه الأهمية عندما ندرك أن موضوع رؤية العالم يرتبط بالرغبة العميقة، وبالحاجة الأصيلة من فطرة الإنسان، في البحث عن إجابات الأسئلة الوجودية والغائية، التي يطرحها وجود الإنسان وحياته وعلاقته بالكون الذي يعيش فيه؛ من أين جاء وإلى أين يصير؟ لكن أمر هذه الأسئلة لا يبقى مجرد إحساس فطري، بل يتحول إلى جهود عقلانية منظمة يبنى عليها الإنسان تصورات ونظريات، ويلتزم وفقها بقيم ومعتقدات، ويقوم على أساسها بأعمال وممارسات.

ونحن نعلم أن من أهم المفاهيم التي يهدف إليها تدريس العلم، مفهوم العلم وخصائصه، وطبيعة العلم وبنية، والتفكير العلمي وخطواته، والمنهج العلمي وإجراءاته، وفئات العلوم وتفرعاتها، ومعايير تصنيف العلوم. أليس ذلك كله هو المدخل إلى فلسفة العلوم؟!

إن الحديث عن الفلسفة في هذا السياق ليس مقصوداً على مجال معرفي معين

يتخصص فيه دارسوه، ويتناولون فيه تاريخ الفلسفة والمذاهب الفلسفية، ومباحث الفلسفة، وسيرة الشخصيات الفلسفية، فيصبحون مدرسين للفلسفة، أو باحثين في الفلسفة، وربما يصبح القليل منهم فلاسفة! وإنما يتجاوز مفهوم الفلسفة ذلك إلى أن يكون تعبيراً عن إطار فكري لكلِّ مجال معرفي، فلِعَلِّم الكيمياء فلسفته، ولعلم الاجتماع فلسفته، وللفن فلسفته، وللسياسة فلسفتها. وهكذا يكون التفكير الفلسفي في الكيمياء منهجاً في التعامل مع موضوعات علم الكيمياء، نظرياً وعملياً، وهكذا في كلِّ عِلْم.

ونحن هنا لا نريد أن نهوّن من شأن الفلسفة بوصفها مجالاً معرفياً متخصصاً، أو نهوّن من شأن دارسي الفلسفة ومُدْرسيها، أو نهوّن من شأن الفلاسفة، ولكننا نريد أن نضيف إلى ذلك أن الفلسفة بوصفها منهجاً في التفكير، هي نشاط عقلي يمكن أن يمارسه كلُّ إنسان، في التعامل مع أيِّ موضوع، فالتفكير الفلسفي بما يعنيه من نظر نقدي، وتفكير إبداعي، وتفكير استراتيجي، وتفكير مقاصدي، وتفكير سببي، وتفكير سنني، وتفكير منطقي، وتفكير تحليلي... كلُّ ذلك - في تعبير الدكتور موسى الناظر - «هو حاجة إنسانية وضرورة مجتمعية يحتاجها كل فرد في عمله: السياسي في ميدانه، والطبيب في عيادته، والمعلم في صفه، والباحث في مختبره، والمهندس في مَرسمه، والواعظ في خطبته».

ويمكننا هنا أن نضيف أن التفكير الفلسفي يفتح على الأسئلة الفكرية التي تراود الإنسان حتى من عهد الطفولة، وربما يكون الطفل أقدر على تقديم أسئلة لا يشعر بالخرج من تقديمها كما قد يتخرج البالغون، وقد أصبحنا الآن نرى بحوثاً عن تفكير الأطفال في سنوات مبكرة، فهم يطرحون أسئلة لا شك في أنها أسئلة فلسفية. وأصبحنا نرى عناوين كتب ومقالات وبحوث أكاديمية رصينة تستند إلى أدلة تجريبية، تشير إلى أن الطفل فيلسوف صغير، لكنَّ معظم الفلاسفة الأطفال يفتقدون فرصة النمو إلى فلاسفة بالغين، بسبب الظروف النمطية في التنشئة والتعليم، التي

تصوغ أفكارَ الأطفال في قوالب نمطية من المعرفة والمهارة والسلوك، فلا نجد بين البالغين من يمكن أن نعدّهم فلاسفةً إلا القليل.

والعلمُ الحقُّ بالعلم، وبفلسفة العلم، يقتضي التمييزَ بين الحقيقة العلمية الوصفية، والنظرية العلمية التفسيرية، ويقتضي كذلك العلم بأنَّ بعض ما يقال عنه علمٌ أو حقيقة علمية، ليس من العلم في شيء، وحتى لو كانت الفكرة عن الموضوع حقيقةً فعلاً، فقد لا تكون نظريةً تفسرها من الحقيقة في شيء. ويقتضي ذلك كذلك، الوعيَ بالإحالات الفكرية والأخلاقية التي تصدر باسم العلم حقاً أو باطلاً، فالإنسانية منظومة قيمة تتحقّقُ بها إنسانية الإنسان. وقد دخل عالمنا المعاصر في عصر ما بعد الحقيقة **post-truth era**، وعصر ما بعد الأوقات العادية: **post-normal times**⁽¹⁾.

لقد كثرت الادعاءات التي تسوّغ أنماطاً من التفكير وأنماطاً من السلوك باسم العلم، وهي عارية عن أية مرجعية علمية، والذي يتابع مجلات أخبار التعليم الجامعي، ولا سيما في العالم الغربي تحديداً، مثل مجلة **Chronicle of HE**، أو مجلة **InsideHE**، أو مجلة **Hed News** سوف يلاحظ أنه قلّما يخلو عدد من أعداد هذه المجلات في نشراتها الأسبوعية، من أخبار انتهاك أخلاقيات البحث العلمي والقيم الجامعية في العالم الغربي، وتتضمن هذه الأخبار المتكررة سحبَ أبحاث نشرت في مجلات علمية رصينة حين يتبين أن البحث المسحوب قد «طبخت» بياناته، أو افتعلت منهجيته، وتتضافر الأدلة على ذلك، وتأتي لحظة الاعتراف، فيُسحب البحث من المجلة، ويستقيل صاحبه من عمله، وتسحب منه شهادته. وقد لا يتم اكتشاف الحقيقة إلا بعد سنوات من نشر البحث، اشتهر فيها صاحب القضية وأصبح عالماً كبيراً، أو سياسياً خطيراً!

(1) أصبحت عبارة **post-truth** كلمة عام 2016 في قاموس أكسفورد.

وبعض القضايا التي يروج لها باسم العلم هي مجرد معتقدات فكرية أو سياسية، أو اختيارات شخصية أو اجتماعية، لا علاقة لها بالعلم، والأمثلة على ذلك كثيرة. ثم إنَّ مما تعلمناه في فلسفة العلوم أنَّ أي شخص يستخدم عبارة «العلم يُثبت...» يكشف أنَّ بضاعته من العلم مُرْجَاة؛ فغاية التفسير العلمي (أو النظرية العلمية) أن يكون مقبولاً مؤقتاً لأنَّه لا يوجد الآن تفسير أفضل منه، ولا يوجد الآن دليل قوي ينقضه، وربما نجد من البيانات المتاحة ما تعجز النظرية عن تفسيره، وتتزايد حالات العجز عن التفسير، وتتزايد الأدلة عن نقضه، وتشتد الحاجة إلى تفسير آخر، يتم تطويره والتأكد من أنه أكثر قدرة على تفسير مجمل البيانات المتاحة، وتتسع دائرة قبول التفسير الجديد الذي يعد انقلاباً على النموذج التفسيري السابق، وصياغةً لنموذج تفسيري جديد. **Paradigm shift**، أليس هذا ما يكشفه تاريخ العلم؟

قلنا إنَّ العلم الحق يقتضي التفكير الفلسفي الذي ضربنا عليه بعض الأمثلة، فالعالم الحق في الكيمياء على سبيل المثال يدخل المختبر ليجري تجربة معينة، يتضمن التخطيط لها مجموعةً من الأسئلة عن الهدف من هذه التجربة، وأنجع أسلوب لإجرائها، والشروط والمحددات التي تحكم إجرائها، والجديد الذي يتوقع من نتائجها، ويكون بعد الانتهاء منها مهياًً لحديث تفصيلي عن مراحل التجربة والدفاع عن النتائج التي توصل إليها، في ضوء وعيه بما كان يريد منها، وما تحقق فيها. والباحث في كل ذلك كان يُشغَلُ عقله قبل يده، أليس هذا شيئاً من التفكير الفلسفي، كونه تفكيراً علمياً ومنهجياً علمياً يمارس صاحبه التساؤل والنقد؟ ومن ثم فهذه هي الفلسفة والممارسة الفلسفية، حتى لو لم يكن الباحث على وعي كامل بها. يقول موسى الناظر: إنه كان يمارس هذه الفلسفة، رغم أنه كان يجهلها، ولكنه يعقَّبُ على ذلك بقوله: «أنَّه لو كانت الفلسفة حاضرة في وعيه كلما دخل المختبر، لحصل على نتائج أفضل، في زمن أقصر، وكلفة أقل».

وحين يتحدث موسى الناظر عن نفسه وتاريخه وتجربته في التعلم والتعليم،

فكأنه يتحدث بلسان بعض من يستمع إليه. وقليل من الناس من تتوفر لديهم مثل هذه القدرة؛ فبعض الناس يمرون عادة في حياتهم بالظروف والخبرات نفسها، أو بظروف مشابهة، لكن القليل منهم من يستطيع أن يتحدث عن خبرته في تلك الظروف بطريقة تتسم بالوضوح والصراحة والمعنى، حتى إذا تحدث عن هذه الخبرة بهذه الطريقة، فإنَّ المستمع يشعر بأنَّ هذا الحديث يكاد ينطبق عليه.

وفي هذا السياق أستطيع أن أقول إنني كلما استمعتُ إلى الدكتور موسى الناظر أشعر أن بيني وبينه كيمياء خاصة، تتجاوز تخصص الكيمياء، ولا سيَّما في الخبرة التعليمية. فقد حفظ عني طلابي في جامعة اليرموك في ثمانينات القرن العشرين جملتين؛ الجملة الأولى: إذا لم أتعلم منكم فأنا الفاشل، فأعينوني لتجنب الفشل، والجملة الثانية: أفضل طريقة للتأكد من فهمك للموضوع، أن تنجح في تعليمه وتفهمه للآخرين. وكلُّ طلابي في ذلك الوقت كانوا معلمين. وقد كنت في خبرتي التعليمية اجتهد في تخطيط الموقف التعليمي ليستوعب الطلبة موقعي وموقع كلِّ منهم في هذه الخطة، وليفهموا ما أعرضه عليهم، وأتعلَّم منهم كيف فهموه، ولأضيف إلى معرفتي شيئاً مفيداً مما يعرضوه هم. وسمعت الدكتور الناظر يقول جملتين في المعنى نفسه: الجملة الأولى: «من يعلِّم دون أن يتعلَّم فهو فاشل»، والجملة الثانية: «خير ما يتعلمه الإنسان هو ما يعلِّمه، والعالم الفاهم لعلمه هو من ينجح في إفهامه للآخرين».

ومن اللفتات النقدية المهمة التي تُؤثّر عن الدكتور موسى الناظر رؤيته للمسارات التعليمية والبحثية في بلادنا في هذا العصر، وهي تلك المسارات التي تقود إلى الشهادة العليا في موضوع التخصص وهي شهادة يسّمونها: «دكتوراه فلسفة». وهي تفترض الإشارة إلى شيء من الإنجاز السابق لصاحب الشهادة، وإلى المسؤولية القادمة في توظيف البعد الفلسفي لهذه الشهادة في كلِّ نشاط يمارسه صاحبها. لكن تحليل الدكتور الناظر لموقع هاتين الكلمتين «دكتوراه فلسفة» من

عنوان الشهادة في الواقع، يكشف عن أن المسارات التعليمية والبحثية غالباً ما تخلو من الفلسفة وأدواتها، ويقتصر التركيز على كلمة دكتوراه يتسوقُّ بها حاملها مهنةً معينة، فاقداً للحكمة التي تشير إليها كلمة الفلسفة. أما الحكمة التي نأخذها مما يقوله الدكتور الناظر من تحليله النقدي لبرامج التعليم والبحث في الجامعات فهي «أنا أُصنِّبنا بدءاً الأناية ونحن نسعى في برامجنا التعليمية نحو نقطة النهاية دون وعي كاف بالمسار إليها».

وكُلُّ من يعرف الدكتور موسى الناظر لا يشكُّ في أنه عالمٌ ومعلِّمٌ ... عالِمٌ يعرف فلسفة العلم، ومعلِّمٌ يعرف فلسفة التعليم، ثم هو صاحب فكر ومسؤولية ورسالة، وربما يشارك الدكتور الناظر غيره في شيء من ذلك، ولكن الدكتور الناظر يتميز في أدائه الجامعي بفكر علمي وفكر تربوي، ويتمثل في أدائه لرسالة تربوية في مجتمعه، دون أن يخل بواجبه أستاذاً جامعياً، وإنما بوصفه أستاذاً جامعياً كذلك.

ولعلَّ أبرز ما عرفته عن الدكتور موسى الناظر هو حرصه على أن يتعلم طلبة الجامعة لماذا وكيف يفكرون في اكتساب العلم والمعرفة، وأن يكون الواحد منهم على وعي بعناصر شخصيته، وانتمائه المجتمعي والإنساني، وما يتأطر ذلك كله في أبعادٍ قيمة وأخلاقية. وفي ضوء ما يتميز به موسى الناظر من خلق نبيل ونفس هادئة، أحببت أن أنوّه بالبعد الأخلاقي للمعرفة، فالمعرفة في نهاية المطاف هي ما يكتسبه الإنسان. وما يكتسبه هو نتيجة جهده في أعمال الفكر والتفكير والتفكير، وفق منهجٍ هادف ومنظم، ينتقل من المشهود إلى المنشود، ومن توجيه غرض العلوم بما هو كائن، إلى السعي نحو ما يجب أن يكون. ونحن نجانب الصواب حين نعدّ الهدفية والتنظيم إجراءاتٍ عمليةً فاقدة للقيمة، فهما وأمثالهما من إجراءات العمل العلمي قيمٌ في حدِّ ذاتها، تتلبَّسُ بالإنسان الذي يمارسها، فتتجلَّى في سلوكه وتصرفاته. وفي حالة الأستاذ الجامعي فإنَّها تتجلَّى في رغبته الجامعة أن يتعلم طلبته المعرفة، ويتبيَّنون قيمتها، فتعزز ثقتهم بأنفسهم، وتقديرهم لأستاذهم، مما يحفزهم على بناء

علاقات إيجابية يزيّنّها التقدير والاعتزاز؛ بالأستاذ، والموقف التعليمي، والمادة التعليمية، ومن ثم الاستمرار في التعلم ذي المعنى، والاستمتاع في بيئة تعليمية أسهمت أخلاق الأستاذ وقيمه التربوية في بنائها.

وهكذا تفعل القدوة والأسوة.

موسى الناظر أنموذج للممارسة العملية لفلسفة العلم وفلسفة التعليم.

موسى الناظر والفلسفة

أ. د. أحمد ماضي⁽¹⁾

الأستاذ الدكتور المكرم موسى الناظر

الحضور الكريم

تحيات طيبات

أود، بادئ ذي بدء، أن أتوجه بجزيل الشكر لمؤسسة شومان، وأخص الأستاذة فالتينا قسيسية، على هذه المبادرة الطيبة، والمقدرة أيما تقدير.

جدير بالذكر أن جلالة الملك عبد الله الثاني كان قد أنعم عام 2009 على أ. د. موسى الناظر بوسام الحسين للعتاء المميز من الدرجة الأولى؛ تقديرًا لخدماته الجليلة وجهوده المتواصلة في ميادين التدريس والبحث وخدمة المجتمع، والتي تمتد لأكثر من أربعين عامًا. وكان د. موسى، بتواضعه العجم والمشهود، ونكرانه للذات التي تدور حول نفسها، يرى أن هذا التكريم هو تكريم للجامعة الأردنية، وحافز لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين للإسهام في دفع مسيرة الوطن ومؤسساته والجامعة.

ولمّا كان موسى الناظر متميزًا في دراسته الثانوية قامت وزارة المعارف بابتعائه إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، لينال درجة البكالوريوس في علم الكيمياء عام 1958.

(1) أستاذ جامعي، رئيس جمعية الثقافة الفلسفية، ورئيس سابق لرابطة الكتاب الأردنيين.

لم يكتف موسى الناظر بهذه الدرجة، إذ واصل التعليم للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، وكانت جامعة هارفرد هي الجامعة التي حصل منها على الدكتوراه.

تجدر الإشارة إلى أن د. موسى الناظر هو أحد اثنين من أساتذة الجامعة الأردنية كانا قد تخرجا في هذه الجامعة. ومعلوم أن جامعة هارفرد التي تأسست عام 1636، تعد أبرز مؤسسة أكاديمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وواحدة من أشهر الجامعات في العالم.

ثمّة اعتقاد مفاده أن الفلسفة علمٌ صعب بعامة، وأصعب علم في فئة العلوم الإنسانية بخاصة، وأسأل في ضوء ما تقدم: هل يمكن تعليم الأطفال الفلسفة، التي يواجه الكبار صعوبة جمة في تعلمها؟ وسؤال آخر: هل لدينا معلمون وتربويون مؤهلون لتعليم هذا العمر من الصغار؟ ومن قام، يا ترى، بتأهيل هؤلاء؟ أين وكيف؟ والسؤال الأهم هو: هل من فائدة يُمكن أن يجنيها الطفل من تعلم الفلسفة، معرفياً وسلوكياً؟ وأي فلسفة نعلّمه؟ المفاهيم أم تاريخ الفلسفة؟

أرى أن يكون المعلم ملماً بعلم نفس الطفولة أولاً وقبل كل شيء، وأن يكون قادراً على تبسيط اللغة والأسلوب، وشارحاً جيداً للمصطلحات، وفضلاً عما سبق، أعتقد أن من الأهمية بمكان أن يكون مطلعاً على التجارب الناجحة في تعليم الأطفال في العالم.

هناك رأي مفاده أن الطفل، منذ نعومة أظفاره، قادر على أن يُلم بالنقد، وأن يفتح عقله على ما هو جديد، وأن يطرح الأسئلة والتساؤلات. إن السؤال المهم هو: لماذا؟ الذي ينبغي أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصية الطفل، معرفياً وسلوكياً.

إن كل ما تقدم من كلام، كان بمناسبة اهتمام د. موسى الناظر بتعليم الفلسفة للأطفال. فما هو رأيه؟

أقول، في البدء، إن أحدًا في الأردن، ولن أذهب إلى الوطن العربي، لم يُعن بهذا الاختصاص، بمن فيهم أعضاء قسم الفلسفة بالجامعة الأردنية، وأنا أحدهم قبل أن أتقاعد. وسوف أقترح على قسم الفلسفة فيها تدريس مادة تحمل هذا العنوان، وأنا متفائل في استجابة د. دعاء خليل علي رئيسة القسم لهذا المقترح. كما سأطرح على جمعية الثقافة الفلسفية التفكير في الأمر أيضاً.

إن د. موسى الناظر بدعوته إلى تعليم الفلسفة للأطفال، إنما يُسجل له سبق في ذلك، والريادة في هذا الطرح. إنه يؤمن بأن الأطفال بطبيعتهم فلاسفة يملكون من القدرات العقلية ما يدفعهم إلى أن يسألوا وبعناد (ماذا؟ بماذا؟ كيف؟ ..). أسئلة ذات صبغة فلسفية. وأنا أقول إن الطفل مشروع فيلسوف، أو باللغة الفلسفية هو فيلسوف بالقوة، ولم يصبح فيلسوفاً بالفعل بعد.

لقد وجد د. موسى الناظر نفسه مع الدعوة إلى تعليم الفلسفة للأطفال في مرحلة مبكرة من العمر، ويرى أن هذا التعليم أصبح حركة متنامية ولدت عند نهاية الستينيات من القرن الماضي. إن دعوته تنطلق، بنظره، مما للفلسفة والمنطق من أثر في تنمية مهارات وقيم وسلوكيات نفتقدها في كثير من صغارنا وكبارنا. إذن ثمة ضرورة لتعليم الكبار الفلسفة أيضاً يا دكتور موسى.

ويؤكد د. موسى أن الجهود تواصلت في مجال تقديم الفلسفة للأطفال، وأصبحت هناك دوريات متخصصة ومؤسسات، وتطورت مناهج وأساليب وتمأسست العملية. لقد انتشرت الحركة عالمياً، بنظره، وتطورت وتبنتها أكثر من 60 دولة. ورب سائل يسأل: أين نحن من هذا التعليم في الوطن العربي؟

وقبل سنوات قليلة يؤكد د. موسى أن اليونسكو احتفلت بتدشين «كرسي» اليونسكو لممارسة الفلسفة عند الأطفال (من سن 4-18) في جامعة نانيس (Nantes) في فرنسا.

ويختم د. موسى بذكر بعض المؤسسات العاملة في مجال تعليم الطفل الفلسفة. وأنا أختتم داعياً وزارة التربية والتعليم، وكليات المجتمع، والجامعات العامة، والأهلية، إلى إيلاء موضوع تعليم الفلسفة للأطفال ما يستحق من اهتمام، هذا إذا كنا نريد أن نتصدى للتطرف والغلو، ونسعى إلى مستقبل أفضل أيضاً، بغرس التفكير الناقد، والتفكير المستقل تمام الاستقلال.

أشكر لكم حسن الاستماع،

والسلام عليكم.

موسى الناظر من مدرسة الحسين الثانوية في الخليل إلى الجامعة الأردنية

أ. د. محمد شاهين⁽¹⁾

الحضور الكرام

الشكر أجزله إلى هذه المؤسسة العريقة والعاملين فيها.

هذه المؤسسة التي حظيت قبل عقود مضت، عندما كنت طالباً في دار المعلمين الريفية بيت حنينا، والتي كانت ربما أول مؤسسة أنشأها عبد الحميد شومان، لتسد بعضاً من فراغ التعليم الجامعي آنذاك...

كان الراحل يحضر إلينا ويقف على شرفة المبنى في الطابق الثاني ليروي علينا بعضاً من قصة سيرته ومسيرته في موسم هجرته إلى أمريكا. وكأننا اليوم به يقول لنا إن ما يصل المؤسسة البنكية من أموال، بذل رجال الأعمال في جمعها الصعوبات وواجهوا التحديات. يجب ألا ينتهي رصيدها في صناديق الإيداع البنكية بل يجب أن تكون في خدمة رجال العلم الذين ينتهون في تحدياتهم برصيد معرفي يسمو فوق أي رصيد مادي. مثل هذا الاعتقاد هو الذي جعل مؤسسة البنك العربي تهاجر ثقافياً من بيت حنينا، مسقط رأس عبد الحميد شومان، من غرب النهر إلى شرقه على يد الخلف الذين حملوا مخلصين رسالة السلف.

(1) كاتب وأكاديمي أردني، أستاذ الأدب الإنجليزي في الجامعة الأردنية.

بداية، مداخلتي هنا لن توفي العالم الباحث حقه من التقدير؛ إذ إن أفرانه وزملاءه ومحبيه أوفر حظاً في الحديث عن العالم الباحث الذي تفانى في خدمة المعرفة. وما هذه المداخلة إلا بطاقة من البطاقات الجميلة التي خلص المتحدثون في تقديمها. فهي جميعاً بطاقات محبة من سويداء القلب.

هذه بعض الذكريات أقدمها اعتزازاً بصداقة موسى الناظر، وقد امتدت بين مدرسة الحسين الثانوية بالخليل والجامعة الأردنية منذ منتصف خمسينيات القرن الماضي. كنت في الصف الأول الثانوي عندما كان موسى في الثالث الثانوي في تلك المدرسة التي كانت تضم الصفوف الثانوية الثلاثة والتي تسبق امتحان المترك، كما كان يسمى آنذاك وهو التوجيهي الذي أصبح متعارفاً عليه لاحقاً. كان طلاب الصفوف الثلاثة يلتقون في نفس الملعب المخصص للمدرسة ويشتركون في فسحة الاستراحة بين الحصص والتي كنا نسميها «التنفس». في إحدى الاستراحات سأل طالب من صف موسى الناظر زميله من نفس الصف: هل تستذكر ما قاله جميل بنورة أستاذ الرياضيات لموسى الناظر أمام طلاب الصف داخل حصة الدرس؟ لقد قال له: أنت يا موسى أذكى من أستاذك. قال الأستاذ هذا لتلميذه عندما استعصى على الطلاب حل مسألة رياضية ولم تجد حلاً لها حتى عند جميل بنورة المعلم الذي كان يُعرف بتميزه. في مبحث الرياضيات خاصة. انبرى موسى الناظر لتقديم الحل للمسألة التي استعصى حلها على الجميع. هذه قصة الشاء الخاص الذي تستحق الاستذكار.

وفي امتحان المترك الذي كانت وزارة التربية والتعليم تعقده سنوياً لجميع طلبة الثالث الثانوي أحرز موسى الناظر موقِعاً متميزاً بين الطلبة الأوائل في المملكة، وهذا ما جعله مؤهلاً لبعثة في الجامعة الأمريكية لدراسة مبحث الكيمياء.

احتفظ موسى بأدائه المتميز في المرحلة الجامعية الأولى التي آلت إلى حصوله على مرتبة رفيعة في درجة البكالوريوس. ومن الأمريكية في بيروت إلى جامعة هارفرد العريقة في أمريكا للحصول على درجة الدكتوراه.

تزامن تخرج موسى من هارفرد مع تأسيس الجامعة الأردنية في بداية الستينيات من القرن الماضي. ورغم عروض العمل المغرية التي توفرت لموسى الناظر حينها من جامعات مختلفة بما فيها الجامعة الأمريكية في بيروت، إلا أنه آثر الانضمام إلى الرعيل الأول الذي أرسى اللبنة الأولى في بناء الجامعة الأردنية.

عدتُ من بعثتي الدراسية إلى الجامعة الأردنية التي بدأت مسيرتي الأكاديمية فيها كمعيد (محاضر متفرغ) قبل ابتعائي إلى جامعة كيمبردج للحصول على الدرجة المطلوبة في الأدب الإنجليزي. كان سروري عظيماً عندما وجدت موسى قد سبقني للالتحاق بنفس المكان الذي كان من شأنه أن يجدد اللقاء بيننا، من خليل الرحمن في خمسينات القرن الماضي مروراً بسبعيناته في عمان إلى هذه الساعة المباركة في هذا المكان.

طلب مني الدكتور ناصر الدين الأسد، رئيس الجامعة الأردنية، بصفتي مساعداً له ومديراً لمكتب الرئاسة، أن أخطب موسى الناظر بشأن تعيينه عميداً لكلية العلوم. بعد أن قدّم موسى الشكر لثقة الجامعة به قدم اعتذاره عن قبول المنصب، قائلاً إن طموحه الإداري يتوقف عند رئاسة القسم، لأن أي إدارة بعد ذلك ربما تكون على حساب العمل الأكاديمي، مضيفاً أن المنصب ذاته كان قد عرض عليه من قبل ولم يقبله لنفس السبب. ورغم أن الدكتور ناصر لم يفصح عن ردة فعله اتجاه موقف موسى الناظر إلا أنه لم يُخفِ احترامه وتقديره لذلك الموقف، قائلاً: شرفت رئيس الجامعة بحضورك وباركت الجامعة باعتذارك.

وعندما كنت مستشاراً لوزارة التعليم العالي (1985-1989) والتي كان الدكتور ناصر الدين أول وزير لها، تقدمت بمشروع لقي قبولاً من الوزارة وهو تحديث مناهج كليات المجتمع التي كانت تابعة لكادر الوزارة. تطلب المشروع تشكيل عدة لجان تغطي مختلف المباحث. طلبت من صديقي موسى الناظر أن يكون رئيساً لتلك اللجان وقبل مشكوراً الطلب. ولا أعلم أنه تغيب عن اجتماع

طيلة الأشهر التي استغرقتها عمل اللجان والتي كان عليها أن تجتمع مساء مرتين في الأسبوع، ولا أعلم أنه أغضب عضواً من أعضاء اللجان. وكان لموسى الفضل في أن يتكلم المشروع بالنجاح في نهاية المطاف. وبهذه المناسبة كان موسى يقبل عضوية اللجان المختلفة التي تكلفه بها الجامعة اعتقاداً منه أن العمل في اللجنة يزواج بين العمل الأكاديمي والإداري لما فيه من تقاطع بين النظامين. وهذا ما جعل الجامعة تطمع في كرمه وتعرض عليه الكثير من عضويات اللجان، خصوصاً وأنها كانت على دراية بأدائه.

روى لي موسى قصة تتعلق مباشرة بعمله كرئيس قسم، مفادها أنه حمل خطاباً إلى رئيس الجامعة وكان الراحل الدكتور عبد السلام المجالي هو الرئيس آنذاك، يطلب فيه بناء طابق لكلية العلوم. شرح رئيس الجامعة على الخطاب بالموافقة على بناء طابقين. ظن موسى أن خطأ مطبعياً قد حصل. وعندما راجع رئيس الجامعة بالأمر أخبره أنه تعمد أن يوافق على طابقين كي يجنبه مشقة كتاب آخر يطلب فيه طابقاً آخر، مضيفاً إلى أنه يريد أن تشهد كلية العلوم بناء طابقين في عهد موسى الناظر!

علمت من زميل من زملاء موسى الناظر أنه اختار موقع بيته في إسكان الجامعة الأردنية بجوار بيت موسى الناظر رغبة في الجيرة. كان تعليقي الذي وجهته إلى الزميل: وهل تجد من يرضى بجيرتك في الإسكان يا فلان غير موسى الناظر! ما يعرفه الناس عن موسى أنه يقبل الغير بكل رضى وبدون أي تحفظ.

هذا هو موسى الناظر بأسرك بوده وصدقه وأصالته وانتمائه. صحيح أن الظروف المعيشية أبعدته عن الخليل أو أبعدت الخليل عنه طيلة هذه المدة.. لكن ذكريات الخليل لا تفارقه. كلما زرته في بيته يحلو له أن يسترسل في الحديث عن الكرومات وهي مصطلح خليلي صرف، من قبيل الإيضاح، أود أن أضيف إليها طقس الكرومات يحدثك فيه موسى عن أهل مدينة الخليل وهم يرتحلون في

فصل الصيف إلى الضواحي حيث كروم العنب. ينصبون العُرش وسط تلك الكروم ليعيشوا فيها وجهاً لوجه مع الطبيعة طيلة أيام الصيف قبل أن يعودوا لبيوتهم داخل المدينة في بداية فصل الخريف.

ذات صباح حضر موسى إلى بيتي يحمل طبقاً من التين. وهل هذا من تين الخليل التي تشتهر بالتين الشحامي يا موسى. كانت إجابته أنه أحضر الشجرة من الخليل قبل أعوام مضت وغرسها في الجهة الغربية من البيت لتظل على تواصل مع هواء الخليل الذي يتسلل إليها عبر غرب النهر. أردف قائلاً بروحه المرحمة المعروفة: وكان شجرة التين الشحامي التي تناءت من تربة الخليل إلى تربة عمان لم تشعر بالغرابة؛ إذ إنها واصلت العطاء لتقدم ثمارها للأصدقاء.

تزامنت إحدى زيارتي لبيروت مع وجود موسى أستاذاً زائراً في الجامعة الأمريكية؛ إذ كان يقضي فيها إجازته الدراسية الممنوحة من الجامعة الأردنية. اتفقنا أن يكون مكان اللقاء في مكتب صديقنا المشترك الراحل مخلوف حدادين الذي حظيت بالتعرف عليه أيام كنت طالباً في برنامج الماجستير بجامعة كلورادو بولدر حيث كان أستاذاً هناك بالجامعة قبل التحاقه بالجامعة الأمريكية. أكد لي مخلوف أن الجامعة الأمريكية قدمت لموسى عرضاً مفتوحاً وما عليه إلا أن يحزم أمره وحقبة سفره، في الوقت الذي يشاء.

تحدث مخلوف لي عن شمائل موسى. ما استذكره قوله أن موسى عملة صعبة في الوسط الأكاديمي وأنه زاهد في الشهرة وأن أحلامه الشخصية صغيرة غير أن أفكاره ومشاعره العامة كبيرة.

لا يتسع المجال هنا للحديث عن الكثير من مناقب موسى الناظر، له من كنيته أبو زهدي نصيب؛ إذ إن الزهد ديدنه في الحياة الدنيا. أمّد الله في عمر الصديق الصدوق الزاهد أبو زهدي.

الأستاذ والمعلم والموجه لنهج الحياة

د. محمد بسام البيطار⁽¹⁾

بدايةً أتوجه بالشكر والتقدير لمؤسسة عبد الحميد شومان على إتاحة الفرصة لإعطاء هذا العالم والإنسان حقه بالتكريم، حيث أتشرف اليوم بالوقوف أمامكم تكريماً لشخص له إسهامات عظيمة في مجال الكيمياء، فضلاً عن التأثير الكبير الإيجابي الذي خلفه في رحلته التعليمية، ألا وهو الأستاذ الدكتور موسى الناظر المؤسس الفذ لقسم الكيمياء في الجامعة الأردنية والمعلم الإنسان وصاحب المنهج القويم.

عندما نتحدث عن جهاذبة الكيمياء يتبادر اسم الدكتور موسى الناظر دائماً في أذهاننا، سواء لطلابه أو لزملائه، لقد كان شخصاً ملهماً ومبدعاً في مجالات الكيمياء؛ حيث ترك بصمات لا تنسى إلى يومنا هذا وستكون نهجاً مستقبلياً لعلم الكيمياء في جامعاتنا الأردنية، رحلته التعليمية كانت مصدراً للكثير من الطلاب والزملاء على حد سواء.

في لحظة من الفخر والاعتزاز، نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الجامعة الرائدة وإلى جميع الأفراد الذين ساهموا في تأسيس قسم الكيمياء. إنها لمناسبة عظيمة تعكس التفوق والتفاني والجهد المبذول في تخريج العديد من الجامعيين

(1) دكتوراه كيمياء صناعية، عضو لجنة مستحضرات التجميل في المواصفات والمقاييس الأردنية.

الذين أكملوا المسيرة واستمروا في البناء وأخلصوا في تأسيس الكثير من الجامعات الرسمية والخاصة في المملكة.

في مشهد يشهد عبور العلم نحو آفاق جديدة، يبرز الدكتور كشخصية مميزة وملهمة، حيث يحمل راية التميز والابتكار في عالم الكيمياء ويُعتبر الدكتور مؤسساً ورائداً لقسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، حيث بذلت جهوده الجبارة ليس فقط في بناء تراث علمي يتلأأ في سماء التعليم والبحث بل كذلك في بناء الشخصية العلمية والإنسانية.

تمتد مسيرة الدكتور العلمية على مدار عقود، حيث لم يكن مجرد تدريس ونقل معلومات، بل كان رحيلاً نحو عالم الإبداع والبحث العلمي بطريقة ممتعة ومثيرة تستند على تشجيع التفكير النقدي والابتكار؛ حيث قاد الدكتور جهود الفريق الذي ساهم في بناء قسم الكيمياء، وأشرف على تطوير المناهج الدراسية الرصينة والبرامج الأكاديمية الرائدة سواء لبرامج البكالوريوس والماجستير ولاحقاً الدكتوراه، تركت كلها بصمة قوية في أقسام الكيمياء في الجامعات الأردنية.

لقد تعرفت على الدكتور موسى الناظر منذ عام 1972 في مساق كيمياء 101، حيث عهدته هادئاً وواثقاً من نفسه، وقدوة يحتذى بها في شرح وتوصيل المعلومة بطريقة سلسلة، مما زاد في رغبتني بدخول التخصص والتعمق به من الجانب العملي، وله الشكر من بعد الله على ما أنا عليه الآن حيث حملت الرسالة العلمية والإنسانية إلى الأجيال التي درستها على مدى 25 سنة في العديد من الجامعات الأردنية حيث تعلمنا منه الإخلاص والتفاني في العمل وبناء العلاقات الإنسانية المتينة.

يتسارع الزمن بسرعة ويمضي بمرور السنين، ولكن ترك الدكتور بصمة قوية في حياتنا الأكاديمية، تجاوزت الحدود العلمية وأثرت في نفوسنا. حيث تعجز الكلمات عن التعبير عن فخرنا واعتزازنا بتكريم الدكتور في مؤسسة عبد الحميد شومان، الرمز الحيّ دائماً للتفاني والعطاء.

لم يكن د. موسى مجرد محاضر في الفصل الدراسي، بل كان قائداً وموجهاً ومصدر إلهام للأجيال. من خلال عقود من الخدمة الجليلة، حيث كرس حياته لنشر المعرفة وتشكيل مناهج حياة للطلاب. فقد كان له الفضل في بناء أوجه التميز الأكاديمي والتأثير الإيجابي في حياة الطلاب.

ما يميزه رؤيته الثاقبة والتي تجسدت في تطوير برامج الدراسة على مستوى درجاتها وتحديثها بما يتلاءم مع متطلبات العصر. بالإضافة إلى ذلك، كان له دور بارز في تشجيع البحث العلمي وتوجيه الطلاب نحو استكشاف آفاق المعرفة والبحث والابتكار وكذلك وضع الأهداف والسير في سبيل تحقيقها خدمة لعلم الكيمياء الذي تميز في الأردن على مستوى المنطقة والعالم بفضل العديد من الجهابذة ومنهم الدكتور موسى.

الدكتور القدير لم يكن محترفاً في مجال تخصصه فقط، بل كان لديه أيضاً قدرة فريدة على التواصل مع الطلاب وتحفيزهم بمختلف اختصاصاتهم. كان لا يتوقف في تقديم الدعم والإرشاد لكل طالب يعبر أبواب مكتبه، مما جعله لا ينسى بين قلوب الطلاب وزملائه.

تكريم الدكتور القدير يعكس امتناننا واعترافنا من الكثير ممن زاملوه بسنوات خلال خدمته المتميزة والمتفانية في سبيل رفعة الجامعة. إنه شخص ذو إرث كبير، حيث سيظل علامة مشرقة في تاريخ الجامعة، ومصدر إلهام للأجيال القادمة.

إن تكريم أستاذنا الفاضل لا ينقص من حق تكريمي لكافة الأساتذة والذين لهم الفضل بعد الله في تأسيس علوم الكيمياء لدي وأخص بالذكر د. سليم جبيري في رسالة الماجستير.

رؤية مستقبلية

كان للدكتور رؤية مستقبلية لتطوير الكيمياء وتفعيل دورها في تقديم

الإسهامات البارزة لمجتمع العلم والصناعة على حد سواء؛ إذ سعى جاهداً لتحفيز طلابه على تحقيق أقصى إمكاناتهم وتحفيز الباحثين الشبان على الابتكار والتفكير النقدي. وبمرور الأيام وازدياد المعرفة بالدكتور وجدت الإجابة على سؤالي الدائم عن فائدة العلم وتطبيقه وتسخير العلم لخدمة العالم.

الإرث العلمي

إن الدكتور اليوم يترك إرثاً علمياً كبيراً يتمثل في الأبحاث الرصينة والمساهمات المتميزة في كافة ميادين علوم الكيمياء. لقد كانت أبحاثه ذات تأثير كبير على المجتمع العلمي والصناعي. وجل ما يلفت الانتباه ارتباطه الإنساني بالطلبة وتوجيههم للعمل الجاد المثمر وضرورة أن يكون للإنسان منهجاً عملياً وعلمياً رصيناً.

روح القيادة والتحفيز

كان الدكتور قائداً لا يُضاهى، حيث نمى جيلاً جديداً من الباحثين والعلماء المتحمسين. كان يعتني بتحفيز الطلاب والموظفين على تحقيق أهدافهم العلمية والشخصية والارتباط لأبعد الحدود بالعلم والعمل والإنسان.

في كل مرحلة من حياتنا، هناك لحظات تبقى خالدة في الذاكرة، ومن بين تلك اللحظات القيمة والمميزة، تبرز سنوات الجامعة كفصلٍ خاصٍ ومثير. وفي هذه الرحلة المثيرة، كان دكتور موسى شخصاً لا يُنسى يسهم في بناء تلك الذكريات الثمينة.

في بداية مغامرتي الجامعية، كان دكتور الجامعة وجهاً مألوفاً ومشرقاً في متاهات القاعات الدراسية. كان يحمل معه غموضاً من العلم والخبرة، ولكن في الوقت نفسه، كان يشع بالود والاهتمام لكل طالب يعبر عتبات الجامعة لأول مرة، تلك اللحظات، حينما كان يقدم لنا نظرة عامة عن برنامجنا الأكاديمي، تاركاً بصمة

إيجابية في ذاكرتنا. كان يضيفي روحًا ملهمة على الفصول الدراسية ويحثنا على استكشاف العلم بشغف وفضول.

ذكريات الجامعة لم تكن مقتصرة على الدروس والاختبارات، بل تمتد إلى لحظات التواصل والنقاش معه حيث كان مكتبه مفتوحًا دائمًا لاستفساراتنا وأفكارنا، وكان دائمًا جاهزًا لتقديم الإرشاد والدعم الأكاديمي. حيث تجمعنا الفعاليات الطلابية وورش العمل بمشاركة دكتور موسى، الذي كان له الدور البارز في تحفيزنا على المشاركة الفعالة في حياة الجامعة. كان يحثنا على تطوير مهارتنا والتفاعل مع المجتمع الأكاديمي بكل حماس.

ولكن لا تقتصر ذكرياتنا مع دكتور موسى على الجانب الأكاديمي فقط. كان لديه القدرة على إدارة الفعاليات الاجتماعية والرياضية ببراعة، وقد شجعنا على المشاركة في الأنشطة المختلفة وبناء صداقات دائمة.

في ختام هذه الرحلة الرائعة، يظل دكتور موسى رمزًا من رموز تكوين شخصيتنا الأكاديمية والاجتماعية. تترك لنا تلك السنوات ذكريات تعبق بالحكمة والتحفيز، تُشعل شغفنا بالتعلم وتخلد اسمه في ذاكرتنا بحروف من ذهب.

والآن وبعد خمسين سنة من معرفتي بالدكتور تتجلى الإجابة على تساؤلاتي وتساؤلات الكثيرين ممن حوله حول رفضه الانتقال إلى عمادة الجامعة أو الالتحاق بالحقب الوزارية أسوة بغيره، فهو حامل لشعار «وهبت نفسي لعملي...».

تكريم الرجل وعطاؤه

تأتي هذه اللحظة كتكريم صادق للدكتور، الذي ساهم بشكل لا يُقدر بثمن في بناء تقاليد العلم والتعليم في ميدان الكيمياء. إن إرثه العلمي سيظل حيًا ومستدامًا، حيث سيستمر تأثيره في إلهام الأجيال القادمة وفي تعزيز مكانة الجامعة الأردنية كمركز للتفوق العلمي.

في الختام، يترك الدكتور خلفه إرثاً يتجاوز الحدود الزمانية، ويتسلم تكريمنا بكل احترام وتقدير. وأتمنى له مستقبلاً مليئاً بالسعادة والنجاح والإنجازات على كافة الأصعدة وأن يستمر في تحفيز الأجيال القادمة لتحقيق إنجازات عظيمة. نشكره على تفانيه وإلهامه الدائم، ونشكره على كل ما قدمه لنا وللجامعة، كما نشمن أسهاماته الكبيرة، ونعبر عن امتناننا لرؤيته الرائدة وإرثه العلمي الراسخ.

دعواتنا الدائمة لك بموفور الصحة والعافية والتقدم.

رحلتنا مع الدكتور موسى الناظر

د. حسين صالح علي⁽¹⁾

«يقاس النجاح بما تبذرين لا فيما تجنين، ليس بالشهادة التي ستحتضنين بل بالعمل الذي تؤسسين وفي الحياة التي تعيشين.

لعقلك عليك حق، إن ملأته بصغائر الأمور لن يبقى فيه متسع لعظائم الأمور، وهو كالمظلة يعمل بكفاءة كلما كان منفتحاً».

هذه المقدمة مقتبسة من بعض النصائح التي كان د. موسى الناظر يعطيها لطلباته وطلابه.

التحقنا بالجامعة الأردنية قبل ما يزيد عن خمسين عاماً. لم تكن الحياة الجامعية شيئاً مألوفاً لنا ولا لزملائنا. كنا نتخيلها مدرسة متقدمة، مواد أكثر تعقيداً وصعوبة وهنداماً أكثر أناقة، واختلاطاً بين الشباب والصبايا.

اجتمع بنا رئيس الجامعة، ثم اجتمع بنا عميد كلية العلوم بالنيابة وشرح لنا ما ستكون عليه حياتنا الجامعية خلال الأربع سنوات القادمة. وبعدها كانت أولى المحاضرات لطلبة السنة الأولى في مادة الكيمياء وكانت باللغة الإنجليزية المبسطة ما أمكن.

(1) المؤسس والرئيس التنفيذي لمختبرات Unilabs. حاصل على الدكتوراه في البيولوجيا الجزيئية وعلم الفيروسات من جامعة مانشستر في المملكة المتحدة.

كان دكتور موسى يعتني بطلاب السنة الأولى اعتناءً خاصاً، وأذكر أنني ولظروفٍ خارجة عن إرادتي التحقت بالجامعة متأخرة مدة شهرين أو أكثر، وأن معظم من قابلتهم شككوني بقدرتي على النجاح بسبب هذا التأخير، وقلة منهم دعموني وساعدوني على اجتياز هذه الفترة. كان دكتور موسى من الذين ساعدوني ودعموني ليس بالدعم المعنوي والكلام، ولكن بالفعل حيث طلب من أحد الطلاب المتميزين أن يساعدني بمراجعة ما فاتني من محاضرات وهكذا كان فنجحت.

كان يصبر على التحدث باللغة الإنجليزية لدرجة أننا تخيلنا أنه لا يتقن اللغة العربية. وقد تيسر لنا فيما بعد معرفة أنه من فطاحلها، وممن كان يدعو دائماً إلى احترام اللغة العربية وإلى ترجمة الأبحاث العلمية إلى العربية. كان يصبر أن نتعلم بالإنجليزية لنتمكن من متابعة المراجع الحديثة، حيث كان ما ينشر بالعربية آنذاك قليلاً، فكان يحثنا على أن نتواصل مع كل جديد.

جعلتنا صعوبة فهم الدرس باللغة الإنجليزية نتصيده في الطريق لنسأل ونفهم. وفي الحقيقة اكتشفنا فيما بعد أنه هو من كان يتصيدنا ليناقشنا، وبدل الإجابة على السؤال كان يطرح أسئلة ويناقشنا في محتوى المادة. وكان دائماً لا يرتاح لدى سؤالنا عن الفصول التي سيشملها الامتحان ويضيف أننا مسؤولون عن محتوى جميع الفصول التي تناولتها كتبنا خلال جميع سنوات الدراسة لحين التخرج فجميعها سلسلة واحدة.

لم يكن يلقننا بل كان يعلمنا كيف نتعلم. يتكرر المشهد يومياً؛ نسأل ويجيبنا وهو يمشي إلى مكتبه، حيث نقضي وقتاً قد يطول ونخرج في كل مرة بمعلومات واسعة وأسئلة أكثر.

لم يكن يرغب أن يرانا نحفظ، بل كان يريد أن نفهم وأن نتعلم كيف نتعلم. كان دائماً يؤكد علينا وجوب استغلال الوقت بما هو مفيد لنا علمياً واجتماعياً. كان يعلمنا إدارة الوقت بدون أن نلاحظ.

في السنة الأولى لمعرفتنا به كان يأتي معنا في الباص الذي يتحرك من الشابسوغ إلى الجامعة الأردنية عن طريق العبدلي. ولتواضعه فقد تخيل سائق الباص أنه أحد الطلبة. وحيث يتوقف لالتقاطه من العبدلي، وفي موقع المسرح الملكي حالياً كان السائق يصيح ويستهمه كي يسرع إلى الباص. وحين عرفناه من هو صدم السائق للتواضع الذي امتاز به هذا الأستاذ.

ولا يزال هو هو، لم يفرط في سيارته الفوكس فاجن التي اشتراها ونحن بالسنة الأولى، رغم امتلاكه لغيرها.

وقد حدثنا أنه ذات مرة، طرق بعض الناس بابه، وحين دخلوا قالوا له: إنهم جاهة، ويتمنون عليه بيع هذه السيارة لهم، التي امتلكها لأكثر من خمسين عاماً (طبعاً لم تكن جديدة) إلا أنه اعتذر بأدب.

إنه يحتفظ بكل ذكرياته، صورنا في الأنشطة المختلفة منذ أن تم إنشاء قسم الكيمياء، وحكاياتنا. وذاكرته لا يغيب عنها شيء. إنه الأب الذي يدون لأبنائه كل شيء. الخطوة الأولى، الدرس الأول، النشيد الأول، إنه يحتفظ بكنوزنا التي لم نحفظ بها نحن.

كم شقيت المرحومة زوجته وهي تصر على إطعامنا أشهى المعجنات والكيكات والأطعمة الأخرى في المناسبات المختلفة.

لم يكن أستاذاً فقط، بل كان أباً رغم أنه يكبرنا بسنوات تقل عن العشرة. كان أمره غريباً؛ كنا ننتظر أن يمل أو يكل ولكنه بقي صامداً للآن؛ يراقب تغيرنا يوماً بعد يوم. لم يعاتبنا يوماً لخطأ بل كان يريد منا أن نعرف الصواب.

كان من أهم الإنجازات التي فرح بها أستاذنا إنشاء مبنى الكيمياء؛ وهو أول مبنى أنشئ بعد مبنى الجيولوجيا الذي كان فاتحة كلية العلوم، وقد شارك أستاذنا في إنجاز كل التفاصيل، أصغرها وأكبرها كأنما هو بيته.

نذكر أننا في أول حصة مختبر عملي في المبنى الجديد كان هو من استقبلنا، وأخذنا في جولة تعريفية على جميع مرافق المبنى وعلى محتويات غرفة المختبر من طاولات عمل وحارقات بنسن وتفصيل جميع التجهيزات الموجودة بما فيها المغاسل وسلال النفايات وغيرها.

ونذكر أنه طلب منا بعد انتهاء الحصة أن نعمل على إعادة كل ما تم استعماله إلى موضعه الصحيح؛ هناك تجهيزات تخزن في الأدراج، وأخرى على الرفوف، وسوائل في مستوعباتها الزجاجية المغلقة جيداً، وغيرها. كان هناك تأكيد شديد على إطفاء أعواد الثقاب عندما تنتهي منها وإلقائها في مستوعب القمامة وليس في مصرف المغسلة لأن هذا قد يؤدي إلى إغلاقها أو تلفها.

رغم أنه كان مثقلاً بالفعاليات المنهجية إلا أنه لم يتغيب ولا مرة عن النشاط اللامنهجي من ندوات فكرية، وجدل اجتماعي، ومناقشات، وحفلات تكريم، ورحلات، وحفلات ترفيهية، ومحاضرات علمية خارجة عن المنهج، ومخيمات طلابية ومجلة الحائط. وكان منزله أيضاً وعائلته، ولحد الآن، جزءاً من النشاط الاجتماعي للاحتفال بطلبته.

رافقتنا دكتور موسى في تشكيل اللجان المختلفة في القسم والجامعة وتابع الأنشطة بل وكان جزءاً منها. كنا لا نتورع في حفلاتنا عن تقليده بشكل كاريكاتيري وكان يضحك من القلب سعيداً بأدائنا.

ومن غرائب أفعاله أنه كان يراقب تطور العلاقات الاجتماعية بيننا كطلبة ويوجهها بالرضى أو بعدم الرضى دون أن ينطق بكلمة أو يشير بإصبع. كيف كان يفعل ذلك لا ندري؟! ولكن حضوره وتأثيره كان ينجز هذا.

كانت الدراسة في تلك الفترة على النظام السنوي (لا يوجد ساعات معتمدة) وكان الطالب إما ناجحاً أو مكماًلاً أو راسباً حسب قدرته.

كنا نتقدم الامتحان الأخير في السنة الأولى حينما حدثت حرب 1967. لم يبلغنا أحد من المراقبين بالأمر حتى أنهينا الامتحان. فقد الكثير من طلبة الضفة الغربية منازلهم وتم إيواؤهم في ساحة كبيرة في الجامعة.

كان من المعروف أن الكثير من الطلبة يقضون أوقاتهم في الملاعب أو التسكع. أما نحن طلبة قسم الكيمياء فقد كان تفاعلنا مع الدراسة بالإضافة إلى الأنشطة الأخرى يملأ وقتنا، وكنا نتواجد يومياً من الساعة الثامنة وحتى الخامسة على مدى أربع سنوات.

كان الدكتور موسى أثناء دراستنا يتصيد لنا الفرص لتدرب في المؤسسات التي لها صلة في تخصصنا، ولم تكن كثيرة، كان يبني علاقات متشعبة مع مسؤولي هذه المؤسسات ليحظى لبعضنا بموقع للتدريب، كما كان يبني علاقات متميزة مع أئداده في الجامعات المتميزة ليحصل على منحة للطلبة المتميزين أو فرصة قبول دراسات عليا.

رغم حداثة قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية إلا أن كم المعرفة التي حصل عليها الطلبة فيها تفوقت على تلك التي حصل عليها أمثالهم من الجامعات العريقة. العديد من الخريجين أفادوا بأنهم كانوا من الطلبة العاديين الذين لم يتخرجوا بتميز، إلا أنهم وحينما أتيح لهم دراسة الماجستير في جامعات بريطانيا أو أمريكا تميزوا في تلك الجامعات.

لقد التحق مُعدّ هذه الورقة بعد عشر سنين من تخرجه بدرجة البكالوريوس ببرنامج الماجستير في العلوم المخبرية، وكانت مكاتب الدراسة في نفس قاعة مكاتب دراسة الكيمياء. وكان يستمع لجدل طلبة الدراسات العليا في المواضيع العلمية في تخصص الكيمياء في إحدى الجامعات البريطانية المشهود لها، حيث كان يتدخل لتصحيح المعلومة للمتناقشين وهم من تخرج من أفضل المعاهد

البريطانية. نعم لم نكن نعرف مقدار متانة البناء الذي أنتجه دكتور موسى الناظر إلى أن تم احتكاكنا مع النخبة.

كنا دائما نقول بأننا عشنا حياتنا الجامعية كما يجب أن تكون؛ دراسة وعلم ونشاطات منهجية ولا منهجية ونشاطات اجتماعية ومجتمعية وغيرها وكل هذا معاً بنى شخصيتنا على ما نحن عليه الآن.

لم يودعنا حين تخرجنا لأننا بقينا معاً. فقد كان يعتقد أننا كخريجين نملك الكثير لنقدمه للجامعة وللقسم الذي يعمل به أو يديره في بعض الأوقات. وبالفعل فقد طلب منا بعد ما يزيد عن ثلاثين سنة من تخرجنا مساعدته في تنظيم مؤتمر عالمي وكان له هذا.

كان يحرص على أن نعرف عن أنفسنا بشكل واضح سواء بمرحلة الدراسة أو بعد التخرج، وذلك عند إلقاء محاضرة علمية أو عند التقدم بطلب للتعيين؛ لأنه كان يعتقد بأننا من خامة جيدة، نستحق ونفتخر أن يعرفها الآخريين. كان يعلمنا كيف نبني ثقتنا بأنفسنا ويجهزنا لخوض معركة الحياة.

كان يخشى أن نبتعد كخريجين عن الجامعة وعن قسم الكيمياء، وأن تأخذنا الحياة إلى مناحٍ أخرى. فكان ييسر لنا أماكن الاجتماع ويحرص على التواجد في أنشطتنا داخل القسم. كنا نشارك بالأبحاث وملتقي بالباحثين. ثم كانت النقلة النوعية حينما أنشأنا رابطة خريجي الكيمياء.

الرابطة صقلت علاقتنا، واشتبك النشاط العلمي والاجتماعي في الجامعة مع علاقتنا الاجتماعية وأنشطتنا في العمل. وظف الخريجون خبراتهم وأنشطة الجامعة لخدمة أنشطتهم في التعليم الثانوي لمن كانوا معلمين. وشملت كل المناحي بما فيها طرق التدريس، وأسئلة مشتركة للامتحانات، ونقل محتوى المسرحيات غير المنهجية في قسم الكيمياء إلى بعض المدارس. وتطورت إلى مجلة رابطة خريجي

الكيمياء وكانت دورية تصدر كل ثلاثة أشهر، وكان الدكتور موسى الناظر حاضراً في كل عدد.

كانت مجلة الرابطة تتابع آخر المستجدات العلمية بالإضافة إلى قصص الترابط الاجتماعي وأخبار الكيميائيين ومواضيع فكاوية. انتشرت المجلة في قسم الكيمياء، ووزعت في جميع أقسام كلية العلوم بل ولدى جميع عمداء الكليات ورؤساء الأقسام في الجامعة الأردنية والجمعية العلمية الملكية. وبأمر من رئيس الجمعية العلمية الملكية آنذاك «دكتور إسحق الفرحان» ورئيس قسم النشر والثقافة «دكتور أحمد البشيرة» كانت النشرة تطبع لديهم مجاناً. كان إعداد النشرة وتجهيزها للطباعة عملاً مضيئاً ولكننا تعلمناه.

كان دكتور موسى يقرأ كل كلمة تكتب وإذا احتاج الأمر لتعليق لم يتردد بالتنويه، وكان يدلنا على المراجع التي تستحق أن نعرفها ونستعملها. شجعنا دكتور موسى بعد هذا التطور لكي نسعى إلى التطبيق العملي لخدمة المجتمع؛ وشجع أعضاء الهيئة التدريسية للانخراط معنا، فكانت المعارض الكيميائية للتجارب المخبرية، وهي معارض لتطبيق التجارب العملية الكيميائية التي تطبق مناهج الكيمياء للتعويض عن ضعف المختبرات في المدارس الحكومية والأهلية. تلقينا مساعدات من قسم الكيمياء ببعض المواد الكيميائية، ومساعدات مالية من مجلس البحث العلمي، ومن القوات المسلحة ووزارة التربية والتعليم. وبتشجيع من دكتور موسى الناظر طفنا الأردن شمالاً وجنوباً وفي كل المحافظات. صهرت هذه التجربة علاقتنا خريجين وطلبة وخلقت ثقة بين أهالي الطالبات والطلبة والخريجين بطريقة لم نعرفها من قبل. لدرجة أن الكثير من الأهالي الداعمين والمشجعين استضافونا لتشجيعنا على المبيت عندهم. لك أن تتخيل أن الكثير من أهالي الطالبات شجعوهم للمبيت في القويرة، والتفرغ في إربد والعقبة من أجل نشاط علمي واجتماعي.

لقد نجح دكتور موسى الناظر فعلاً في تحويلنا لعائلة، وكبرت العائلة لتصبح

منتدى وتجمع علمي وفكري واجتماعي. ومن الجدير بالذكر أننا كنا نقوم بنقل جميع المواد والتجهيزات ومستلزمات المعارض بسيارات الخريجين وغيرها من وسائل النقل، وبالطبع فقد صادفتنا العديد من المواقف التي لا زلنا نستذكرها للآن؛ مثل تعطل السيارة وغيرها. لك أن تتخيل أن أشخاصاً لا ينامون الليل بحثاً عن وسائل لنقل معرض يحتوي على سبعين تجربة بموادها وأجهزتها تنقل ليلاً من مدينة إلى مدينة، على سبيل المثال نقلت هذه التجارب من مدارس الكرك لكي تنصب وترتب لتكون جاهزة قبل التاسعة صباحاً في بلدة القويرة. وكل ذلك كان يقوم به طلبة «من الذكور والإناث» من قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية وخريجون تركوا أعمالهم ليقدموا للمجتمع مجاناً، بل ويدفعون من جيبيهم الخاص للإنفاق على هذه المهمات. هذا هو الإلهام الذي صنعه الدكتور موسى الناظر.

ولك أيضاً أن تتخيل أن الأم أو الزوجة أو الأخت تطهو لتطعم ستين شخصاً من المشاركين في المعرض، وكانت الوجبات طبخات شعبية كالمفتول والمقلوبة والمجدرة.

كانت فترة السبعينيات من القرن المنصرم هي العصر الذهبي لعلم الكيمياء في الأردن، وطغت أنشطة الخريجين والطلبة على كل الأنشطة العلمية في المجالات الخرى.

ومن الجدير بالذكر أن رئيس رومانيا في ذلك الوقت «شاوشيسكو» قضى ساعة في مدرسة سكيينة بنت الحسين في عمان يتفقد تجارب المعرض برفقة المرحوم ذوقان الهنداوي، هل تعلم بأنه في السبعينات كان الكيميائي لا يستطيع السفر خارج الأردن إلا بموافقة خطية من وزير التربية والتعليم، كانت أسماؤنا موجودة على الحدود.

أصبح طلبة الكيمياء وخريجو الكيمياء من الجامعة الأردنية مؤثرين ومعروفين في كل الأماكن. نوادي الخريجين، مؤسسات الدولة، معاهد التدريس، الشركات

الخاصة بل وحتى الجمعيات الاجتماعية، والكل يحاول استقطابهم لكل نشاط يقوم به.

سعت المناصب إلى الدكتور موسى الناظر ولكنه زهد بها. يتنافس المتنافسون على موقع ويعتذر دكتور موسى عن قبوله. من القصص التي عشناها معه في هذا المجال أنه بعد تعيين الدكتور إسحق الفرحان رئيساً للجامعة الأردنية رغب بشدة أن يكون الدكتور موسى عميداً لكلية العلوم. اعتذر دكتور موسى؛ توسط دكتور إسحق عند أعضاء مجلس القسم من زملاء الدكتور موسى؛ نذكر منهم د. عادل جرار ود. سليم صبري، ولكن الدكتور موسى أصر على الاعتذار. ومع إصرار الدكتور الفرحان رحمه الله قرر أن يستعين بنا كأبناء لموسى الناظر. استدعى بعضنا وشرح لنا أنه يريد التطور لكلية العلوم وأن الدكتور موسى هو الأنسب لهذه المهمة. فرحنا ووعدناه أن نقنع أستاذنا. ولكن حين فاتحنا الدكتور موسى بالأمر اعتذر لنا بشدة؛ فقلنا له إننا لم نعود عليك الهروب من المسؤولية. فكانت إجابته صادمة حيث قال: هذا الثوب واسعٌ علي، كيف لكم أن تتخيلوني بثوب فضفاض، لا يليق الأمر بي. وأضاف: في منصب مثل هذا قد لا أكون صاحب قرار وربما أوضع في موقف تنفيذ مهام لا أقتنع بها؛ كيف ستظرون إليّ حينها؟ أسقط الأمر من يدنا. وحين علم د. إسحق بالأمر، قال بأنه كان يتوقع منه هذا الرد؛ ولم يتعين الدكتور موسى بأي منصب إداري بعدها، وواصل رسالته.

على مدى الزمن كنا نتخيل الدكتور موسى عالماً في الكيمياء العضوية فقط، وليس له علاقة بالشعر واللغة وعلم الاجتماع والفلسفة والزراعة. حين تقاعد الدكتور موسى راح يكتب فتعلم منه البلاغة، كما نتعلم الحكمة، كان متابعاً لجميع التغيرات في التكنولوجيا، وبدأ يكتب على وسائل التواصل الاجتماعي، لنكتشف عندها أنه عاشق للزهور، وقد كان لي شرف استلام أجمل باقة زهور من النرجس عندما زارني في منزلي. وحين نزوره في منزله نجد أن زهوره قد نمت بعشق، وبها

حياة يعجز أن يعطيها لها مهندس زراعي أو باحث متفرغ في هذا المجال.

نحضر ندوة في الفلسفة فنجد أنه شيخ الفلاسفة. ويكتب في التربية فيتوقف التربويون عاجزين أمامه. ونذكر أنه حين كان له دور في متابعة المدرسة النموذجية التابعة للجامعة الأردنية، كانت المدرسة نموذجية فعلاً. كثيرون هم تلاميذ المدرسة الذي عاشروه في طفولتهم تأثروا بنهجه ليصبحوا رجالاً يحملون بعضاً من بصماته. حين نلتقي به نحس بالفرح الذي يعيشه الأب بزيارة أولاده، كما نشعر نحن بحرارة اللقاء مع الوالد والمربي. خبر الدكتور موسى الحياة وعرف الكثير وأعطانا الأكثر، ولا يزال مصدر الإلهام لكل طلابه. في جميع مراحل حياتنا، وبالذات لمن أكملوا دراساتهم العلمية أو غيروا طريقهم؛ كنا في الكثير من الأوقات نتمنى وجوده معنا لنسأله رأيه في بعض المسائل رغم أنها ليست من اختصاصه.

كان حلم الدكتور موسى أن يفرخ نوعية من الخريجين تحمل نهجه وحلمه. ولذلك كان عدد الطلاب في كل سنة لهذا التخصص لا يصل إلى خمسين طالباً.

في سنوات الجامعة الأولى كان أفضل الطلبة يتوجهون لدراسة العلوم. ثم تم إنشاء كليات الطب والهندسة والصيدلة وبفعل النسق الاجتماعي السائد توجهت غالبية الأوائل إلى هذه التخصصات.

ولكنه مع الفريق الذي كان من ضمنهم وكثير منهم من طلبته أصلاً. بذلوا كل جهد للحفاظ على النوعية الجيدة لقسم الكيمياء.

لسبب ما، قررت وزارة التربية جعل مادة الكيمياء مادة اختيارية في التوجيهي. وسبب هذا ضربة موجعة للتخصص؛ لأن الكثيرين أهملوا المادة، ودخلوا الجامعة دون معرفة بها.

امتشق د. موسى أسلحته، وحارب في كل المنابر حتى ألغى هذا الاستثناء، وهنا تحسن وضع التخصص.

كبرت الجامعة، وكثرت التخصصات العلمية التي تحتاج إلى التدريس بهذا التخصص (علوم، طب، هندسة، صيدلة، زراعة... الخ). فقلت نسبة الطلبة الذين يدرسون هذا التخصص مقارنة بأعداد الطلبة الكبيرة، ولكنه استمر يبذل جهده... إنه موسى الناظر الذي لا يتوقف عطاؤه.

مهما كتبنا لا نستطيع أن نفي هذه القامة حقها، ولا يمكن الاستمرار أكثر، سنتوقف هنا لرفع القبة للدكتور موسى الناظر.

العلامة د. موسى المعلم بالنجاح التعليمي الوطني

كما ذكرنا سابقاً، عتب الكثيرون على د. موسى على إصراره على التعليم باللغة الإنجليزية في المرحلة الجامعية، وارتأوا أن اللغة العربية وعاء يتسع لكل العلوم.

لم يكن موقف د. موسى هذا ناتجاً عن عدم ثقته باللغة كلفة، ولكن لعدم وجود مراجع ومنتجات علمية باللغة العربية تجعل الباحث يكتفي بها. حتى إن الكثير من الدول المتقدمة والمعتزة بلغتها تدرس العلوم باللغة الإنجليزية، ومع هذا كان يشجعنا على ترجمة الكثير من المقالات إلى العربية بعد تخرجنا وعمل الكثير منا في ميدان التعليم. وكان للزميل تحسين فني (هو من خريجي عام 1970) دور جيد في هذا المجال أثناء تحريره لمجلة رابطة خريجي الكيمياء.

تعرفنا على دور الدكتور موسى في التدريس باللغة العربية، حينما كان من المشرفين على المدرسة النموذجية المقامة في الجامعة الأردنية، وكان هدفها أبناء موظفي الجامعة وأهل المنطقة، حيث تعهد د. موسى بمراقبة تدريسهم باللغة العربية، وكيفية عرض المنهاج وإخراجه من التلقين إلى فهم الصورة والمحتوى.

حين سعت وزارة التربية إلى تحديث المناهج في النصف الثاني من الثمانينيات. تحمل د. موسى رئاسة لجان التحديث لمنهاج الكيمياء، واختار أفضل

المناهج العالمية وأشهرها كمرجع للمناهج المقترح وعينت لجان للعمل وتحرير الكتب، وكان يتابعها ويراجعها ويحرص على معرفة كل كلمة وموضوعها، وضرورة اكتمال المحتوى وسهولة فهمه مع الاحتفاظ بقيمته العلمية.

بعد اكتمال المناهج، شارك د. موسى الناظر بقوة في التدريب والتطبيق العملي والمخبري لخلق كادر مؤهل لإدارة العملية التعليمية.

كان المنهاج الدولي الذي تم الاعتماد عليه، يحتوي على مؤلفات لتدريس الطلبة وأخرى للمعلمين ليدلهم على طرق التعليم وحل المسائل. وقد غفلت وزارة التربية عن الجزء الثاني المتعلق بالمعلم. وظهرت عقبات وأحيانا عدم القدرة لدى المعلمين لإيصال المنهاج. هنا انبرى بعض المعلمين وهم من طلبة د. موسى وبمباركته إلى ترجمة دليل المعلم في منهاج الكيمياء للتوجيهي بتصرف طبعاً (لتجنب الاعتداء على حق الملكية الفكرية). وقام الزميل الدكتور تحسين مع الزميل المعلم المرحوم بشارة عناب (وهو خريج 1970، وكان معلماً في مدرسة راهبات الناصرة) بعمل دوسية (كتاب) المنار لحلول مسائل الكيمياء الواردة في المنهاج.

وأذكر أنني أنا (د. حسين صالح علي، خريج 1970) قد نسختها بيدي كاملة لأننا لم نملك القدرة المالية لطباعتها. ووضعها تحت تصرف الطلبة والمعلمين.

من أقوالهم (1)

«لقد عملت مع أستاذي الدكتور الناظر على ماجستير في الكيمياء العضوية، وكان موضوع البحث مرتبط بـ Beirut Reaction، وكان الهدف إنتاج مركبات جديدة ودراستها لفوائد منها طبية، وقبل إنهاء البحث سألت أستاذي ما إذا لم يكن هناك أي نتائج جيدة. وهنا أجبني، ولن أنسى ما تعلمته في مسيرتي العلمية، «إن الهدف في ما تعلمته في الأيام الطويلة في المختبرات والمكتبات والمناقشات مع

الأساتذة والزملاء هو تدريبك وتعلمك مبادئ البحث العلمي، والتي ستستعمله في حياتك في المستقبل إن كانت في تكميل دراستك أو في عملك أو نشاطاتك إن كانت علمية أو اجتماعية. وحتى اليوم أتذكر هذه الكلمات التي ساعدت في الكثير من نجاحاتي»/ رجا عطا الله خريج ماجستير كيمياء 1979 ودراسات عليا جامعة واشنطن، سياتل.

من أقوالهم (2)

«كان قسم الكيمياء من أنشط أقسام الجامعة في الأعمال اللامنهجية رياضة، فن (رسم زيتي، تمثيل، ندوات شعرية). ذات مرة كنا في رحلة ترفيهية إلى سيل جرش، في تلك الفترة كان السيل نظيفاً مياهه عذبة وبه أسماك، كنت أحد منظمي الرحلة، ارتحنا وتناولنا طعام الغذاء على السيل قبل مشتل فيصل قرب جرش، ناديت على زميلي حسين صالح أقترح أن نتحرك، فأجاب: دعني أسأل د. موسى الناظر، فأجبتُ ما علاقة د. موسى بالأمر، نحن منظمو الرحلة وعلينا أن نقرر، نظرتُ لأجد د. موسى بجانبه وقد سمع تعليقي، لم ينطق بكلمة ولم يبدُ عليه الانزعاج، شعرتُ بحرج شديد، ولكن ابتسامته طمأننتني أنه يؤيد وجهة نظري»/ د. تحسين علي فني، خريج 9701.

من أقوالهم (3)

«في السنة الأولى لم أكن ذلك الطالب الملتزم، وأحياناً كنت أفوت بعض المحاضرات. كان من عادة د. موسى عند عمل امتحان أن يصححه ويوزع النتائج على الطلبة خلال عملهم في المختبر. ذات مرة وزع د. موسى النتائج وكان يصل لكل واحد منا على موقعه في المختبر، ومر بجانبه ولم يعطني ورقة الفحص، واستمر يوزع الأوراق حتى انتهى منهم، ثم حضر إلى موقعي وأعطاني كراستي وطلب مني أن أطلع عليها. كان هناك أربعة أسئلة ومساحة متروكة للإجابة لكل منها. طلب مني أن أستعرض نتيجتي. كان هناك إجابة شافية على سؤالين وعلامتهما مكتملة. وسؤالان بلا إجابة وعلامة كل منهما صفر.

سألني كيف أعلق على هذا الأمر. قلت إنني فشلت في الإجابة على سؤالين. سأل لماذا؟ قلت لا أدري. أجب بل تدري الأمر في منتهى الوضوح، أعطني تحليلك. تلكأت في الإجابة، وترددت. قال: لا تريد أن تجيب، أنا أجب عنك. يبدو أنك لم تحضر المحاضرات المتعلقة بالسؤالين، وليس لديك فكرة عن المادة، وأما المحاضرات التي حضرتها، فأنت لم تدرس ولكنك ذكي بما يكفي أن تجيب الأسئلة. الخلاصة أريدك أن تكون أكثر التزاماً بحضور المحاضرات، وتستغل بعض الوقت لمراجعة المادة التي حضرتها. أنت خامة جيدة، ولكنك تسيء استعمالها. أريد وعداً منك أن تفعل ما بوسعك، فخرجت ووعدته أن أبذل جهداً أكبر.

وأذكر هنا موقفاً آخر، عندما بدأنا العمل في المختبر بعد المحاضرة التعريفية وكيف نتصرف في المختبر، فقد قمت بإشعال الحارقة بعود الثقاب وأطفأت العود ثم ألقيته في حلق المغسلة خلافاً لتعليماته. تذكرت المخالفة بعد فعلتي عندما رأيته ينظر إليّ. لم يعاتبني ولم يؤنّبني ولكنه غاب قليلاً وأحضر مفكاً وشمّر عن ساعده وفكّ حلق المغسلة، وأخرج عود الثقاب، ألقى به في القمامة وعاد إلى زاوية المراقبة والمتابعة دون أن يبادلني الحديث.

ومنذ ذلك الدرس قبل أكثر من خمسين عاماً وحتى الآن وأنا أتلفت حولي وأدقق أين ألقى قماتي وأرتب مكاني قبل أن أغادر مكاني؛ هذا بعض من موسى الناظر» / د. حسين صالح علي، خريج سنة 1970.

من أقوالهم (4)

(أ) «موسى الناظر - الشخصية الفريدة.. لم يخطر ببالي في يوم من الأيام وأنا على مقاعد الدراسة الثانوية بأنني قد ألتحق بالجامعة الأردنية، لا شيء وإنما لرغبتني القوية بدراسة هندسة الكهرباء والميكانيك في الخارج نظراً لعدم توفرها في الجامعة الأردنية.

كان ذلك في أول السبعينيات من القرن الماضي عندما أنهيت التوجيهي وحصلت على معدل جيد جداً يؤهلني لدراسة الهندسة في الخارج ويحقق طموحي كي أصبح مهندساً مرموقاً.

إلا أن تسارع الأحداث الأمنية في الوطن في تلك الفترة حالت دون قبولي في أي جامعة، فكان لا بد من اللجوء إلى الخيار الأخير وهو الجامعة الأردنية، حيث تم قبولي بعد مرور ثلاثة أشهر على بدء الدراسة في كلية العلوم وباللغة الإنجليزية. ورغم أن لغتي الإنجليزية جيدة جداً، إلا أنني في الحقيقة كنت كما يقال (مثل الأطرش في الزفة) وبقيت عدة أشهر على هذا الحال، أخرج من الكلية كما دخلتها مثل التائه في الصحراء، وكثيراً ما كنت أشعر بالنعاس ورغبة في النوم في المدرج. وشاءت الأقدار أن يبدأ الفصل الثاني وأتعرّف على أستاذ الكيمياء، وقيل لي في حينها إنه خريج جامعة هارفرد والجامعة الأمريكية في بيروت، وإنه عاد إلى الأردن لكي يؤسس قسم الكيمياء في كلية العلوم، ويبدو أن هذا الأستاذ قد شدني وجذبني إلى أن أتابع جيداً وأدرس وأستعيد نشاطي، وكل ذلك كان بسبب شخصيته الفريدة والمميزة ولطفه وطريقة تدريسه للكيمياء التي أحبها. ورويداً ورويداً بدأت أتقرب إلى هذه الشخصية المحببة والقريبة إلى القلب، وعرفت عن بعد وبعد ذلك عن قرب أستاذي الكبير موسى زهدي الناظر (أبو زهدي).

لم يكن أبو زهدي كما أحب أن أناديه وكما الكثير من زملاء أستاذاً ومدرساً للكيمياء فقط، بل كان مرشداً وناصحاً وحكيماً وصديقاً، ويحمل الكثير من الصفات الطيبة التي بواسطتها يشدك إليه دون أن تدرك، ويصبح مع الأيام صديقاً قريباً لك تحب مجالسه الراقية وحديثه الهادئ وكلامه المنمق والاستماع إليه.

ألم أقل في العنوان إن موسى الناظر - الشخصية الفريدة، إنها كذلك حتى يومنا هذا... أطل الله في عمر أستاذنا وكبيرنا وصديقنا وادام عليه الصحة والعافية» / جريس أمين بقله، خريج العام 1974.

(ب) «موسى الناظر - رجل المواقف.. كان ذلك في نهاية الفصل الثاني وبدء العطلة الصيفية عندما قررت الجمعية الكيميائية للطلبة إقامة معسكر صيفي لأعضائها وذلك في ملعب كرة القدم بجانب قسم الكيمياء، واستحصلت الجمعية على الموافقات الرسمية لإقامة المعسكر وتم تزويدنا بالخيم ومستلزمات المعسكر من قبل دائرة النشاط في شؤون الطلبة.

وفي اليوم المقرر لذلك، حضر الطلاب وقاموا بتركيب وتجهيز الخيام، واستغرق ذلك نهارًا كاملاً استنفذ كامل طاقتهم وعملنا على توزيع الطلبة على الخيام. وفي المساء حضر مندوب من دائرة شؤون الطلبة ليعلم رئيس الجمعية آنذاك بأن معالي رئيس الجامعة لم يوافق على إقامة المعسكر، وبناءً عليه يجب التوقف وعدم الاستمرار في هذا النشاط. إلا أن الطلبة تضامنوا مع رئيس الجمعية واعترضوا على ذلك فما كان من مندوب شؤون الطلبة إلا أن اقترح علينا أن نتحدث مع رئيس الجامعة على الهاتف وننقل له أسباب إقامة المعسكر، ونطلب منه أن يتعطف ويوافق لنا على إقامة النشاط.

وعندما اتصل مندوب شؤون الطلبة برئيس الجامعة (على هاتف المنزل) كنت أنا أقف إلى جانبه، فأعطاني الهاتف فوراً لكي أتحدث باسم الطلبة، وجرى نقاش مقتضب بيني وبين الرئيس انتهى بأن الرئيس طلب اسمي بالكامل وأن أكون في مكتبه في اليوم التالي.

وبعد أكثر من ساعة على الاتصال حضر إلى المعسكر عميد الكلية (د. عدنان بدران) وعدد من المسؤولين (د. محمد خير)، وشعرت حينها أنني في ورطة كبيرة، وأنتني على وشك أن أفصل من الجامعة أو أن أعال عقاباً من نوع آخر (أمران أحلاهما مر).

وفي خضم الأحداث المتسارعة، حضر الدكتور موسى الناظر وكان رئيساً لقسم الكيمياء، وقال للطلبة: «أطلب منكم إزالة المعسكر اليوم، فأنا تحدثت إلى

معالي الرئيس وتعهدت له بذلك وإن معالي الرئيس وافق مشكوراً على عدم معاقبة زميلكم جريس وإنه لا ضرورة لذهابه إلى مكتب الرئاسة في اليوم التالي.

وهكذا انتهت الحكاية بسلام، وهكذا عرفت أن موسى زهدي الناظر رجل المواقف، وصاحب المواقف الرجولية.. أطال الله في عمره» / جريس أمين بقله.

(هـ) «موسى الناظر - إيجابي في الصميم.. أذكر أنني كنت رئيساً للجمعية الكيميائية للطلبة، وأني وزميلي الدكتور جمال صويلح كنا مسؤولين عن جريدة الحائط في القسم، وكان جمال يتقن التخطيط والكتابة. وصدف أن زار القسم عميد كلية العلوم ورئيس قسم الكيمياء في جامعة القاهرة آنذاك، وكان ضيفاً على أستاذنا الدكتور موسى الناظر. ولسوء الحظ صدف أن وقت الزيارة كان عطلة عامة في المملكة وأردنا أن نكرم الرجل بحفلة شاي بسيطة وتقديم درع الجمعية له. ذهبت أنا وجمال إلى وسط البلد لنحاول أن نجد محل صانع الدروع التكريمية فوجدناه مغلقاً، وهنا اقترح جمال أن يصنع درعاً بنفسه، وأكد أنه سوف يتقن صنعها لتناسب مقام الضيف.

وفي اليوم التالي توجهت إلى مكتب الدكتور موسى وسلمت على الضيف الكريم، وسألت الدكتور موسى على انفراد عن رأيه بالفكرة التي طرحها جمال وهل هي مناسبة. هنا كانت المفاجأة بأن قال لي بصوت عال متعمداً أن يصل الكلام إلى مسامع الضيف: «أي شيء تقدمونه لضيفنا الكريم سواء من عملكم أو من عمل غيركم هو موضع استحسان من قبله، وأنا بدوري أشكركم على مبادرتكم هذه».

وفي اليوم التالي وبالرغم من العطلة ذهبنا أنا وجمال، وقدمنا للضيف الدرع الذي صنعه جمال يدوياً.

هذا هو موسى الناظر، الذي ينظر بإيجابية وبحماسة للأفكار الجديدة مهما كانت، ويشجع كل من يبادر إليها» / جريس أمين بقله.

صون العلم، موسى الناظر عند حسن النابلسي وأسرته

أ. حكم النابلسي⁽¹⁾

بسم الله، والحمد لله،

والصلاة والسلام على رسول الله...

(ربّ اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي)

إنما نهج الكرام تكريم أصحاب الفضل والتميزين في العطاء، وقد اختارت مؤسسة عبد الحميد شومان أن تكون السبّاقة دوماً في هذا الدور البناء، في إظهار عرفان المجتمع وتقديره لرواد العلم، فكانت منهم ولهم روضة نفوح بعبيرهم وعطرهم فشكراً لهم على هذا الدور وهذا السبق.

من الناس من يعمل بصمت ليبيني ويسهم في الغايات السامية ويترك بصمة وإنجازاً وتميزاً، وهل هناك أسمى من الغاية التي انتقاها الأستاذ الدكتور موسى الناظر في بناء صرح العلم في هذا البلد؛ ليبقى قوياً بأهله، ويسمو عالياً بعلمه، ويقوى بهم في مواجهة تحديات العالم وقد تسلحوا بأقوى سلاح، وتجهزوا بأحسن زاد، سلاح العلم وزاد المعرفة.

ولأنه من الناس الذين يفهمون حقيقة العلم سلاحاً ونوراً ومساراً، وخبرَ فضل

(1) خريج الجامعة الأردنية عام 1988 تخصص إدارة عامة وعلوم سياسية، يعمل حالياً بالزراعة.

المعلم وأثره البالغ فيمن يعلم، لكل ذلك كان مسار الأستاذ الدكتور موسى الناظر. ونعم المسار؛ منارةً وإنجازاً. وفضل التعليم على الألقاب، واللُّبُّ على القشور، والجهد الأنفع على الجهد النافع.

أما الأستاذ الدكتور موسى كإنسان - بالإضافة إلى أنه طيب المعشر ومثال للأدب والتواضع والجيرة الطيبة - فإنك إذا أردت أن تصفه بصفةٍ واحدةٍ تغلبُ كلَّ الصفات نجد صفة الوفاء تميزه وتتميز به، فنعم الصديق ونعم الزميل ونعم الجار ونعم العم ونعم الخل الوفي. وأحب أن أقرأ لكم ما كتبه عنه والدي - رحمه الله - حسن سعود النابلسي في عمود سبعة أيام في جريدة الرأي عام 1977:

«صون العلم

حسن سعود النابلسي

سألته بعد أن وصل إلى أرض الوطن، ماذا أتى بك؟ لقد كنت في موقع ممتاز يتمنى لو يكون فيه من هو في مثل حالتك ومن هو في أحسن منها. وها أنت تأتي لتعمل في كلية منشأة على الطريقة العربية؛ حيث يكون القرار والبدء ثم تدبر الأمور حيث يحالفها التدبير تارة ويخطئها تارات.. سألته ذلك السؤال وقد اختار أن يعمل مدرساً في كلية العلوم بالجامعة الأردنية على عمله كباحث بعد الدكتوراه في جامعة هارفرد الأميركية الشهيرة العتيدة. سألته ذلك السؤال وأنا أقارن، بيني وبين نفسي، موقفه من موقف بعض الملتزمين للدولة ممن أوفدوا على حسابها لنيل درجة الدكتوراه، ذلك أنه لم يقم وزناً للرقم الذي سيكون عليه راتبه ولم يجادل فيه. وقد أجبني الرجل بهدوئه، الأصل أن أخدم بلدي وأن أعمل فيه، وليس الأصل هو الامتيازات والرواتب، أعجبني رد الرجل، وكنت قد أعجبت به قبل أن أراه، أعجبت به على الورق، فلما حضر ورأيتُه وسمعتُه ازداد إعجابي.

ولقد بذل موسى أقصى ما يبذل من جهد في بناء الكلية الناشئة وإرساء قواعد

قسم الكيمياء فيه بإخلاص وصمت. وبعد سنوات ثمانية من رئاسة القسم والعمل بالتأسيس في الجامعة الأولى في البلد، وفي ظروف شح الموارد وربط الأحزمة وقلة الخبرات، أجاز موسى إجازة تفرغ علمي، وانكبَّ على بحث علمي في مختبرات الجامعة الأميركية في بيروت، أتبعها بسنة إجازة بدون راتب استكمالاً للبحث، وعاد بعد هاتين السنتين أستاذاً في القسم الذي أنشأه. عاد موسى مجرد أستاذ راضياً بذلك التجريد مفتخراً به مسروراً. ومرت الكلية بعد رجوعه بأزمة إدارية بعد تعيين عميدها رئيساً لجامعة اليرموك المنشأة. وتم الاتصال بموسى وعرضت عليه عمادة الكلية، فآثر موسى أن يظل مجرد أستاذ، وتكرر الاتصال والضغط وتنوعاً وأخرج موسى عندما اتصل به أعضاء هيئة التدريس بالكلية، ولكنه صمد للإغراء وصمد للضغط وصمد للتخجيل.

هذا موقف مستغرب في بلدنا؛ حيث يسعى غالبية الناس للمنصب، وتهدر غالبيتهم في سبيل الوصول إليه الكرامة الشخصية والعلمية، ويتحملون بعد الوصول إليه ما لا يحتمل. ويدل موقف موسى هذا على أنه ما يزال هناك أشخاص يؤثرون العلم على المنصب ويستجيبون لنداء الخدمة ويعزفون عن بريق المنصب.

ما زال هناك من يعيش قول الشاعر:

«لو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّموه في النفوس لعظّموا»

العم العزيز والغالي د. موسى:

حقيقة أنت مصدر فخر واعتزاز لنا كعائلة حسن سعود النابلسي، ولكل من كان له فرصة وشرف التعامل معك، تترك في الناس أثراً طيباً متواصلاً مذهلاً، أسأل الله أن يديم عليك الصحة والعافية وأن يمتعك بكل طيب وأن يتم نعمته عليك.

ثلاثية الجبرياء والكيمياء والخيمياء عند موسى الناظر

أ. د. راشد عيسى⁽¹⁾

عندما هاتفتني الصديق الأديب موفق ملكاوي طالباً مني أن أقدم ورقة احتفائية ضمن الأوراق التكريمية في التجربة العلمية الإنسانية لدى الدكتور موسى الناظر. شهقتُ استغراباً فأنا رجلٌ أدب لا صلة لي بالكيمياء. قال صديقي: سنرسل لك حزمة من الأوراق والمنشورات المتعلقة بمنجز الدكتور موسى، وأنا أجزم أنك ستقدم لنا رؤية معينة.

بدأت أقرأ المنشورات بتهيبٍ وتحفّزٍ كمن يريد الوصول إلى ماسة مدفونة في جبل شاهق. قرأت جميع المنشورات، فخرجتُ ذاهلاً مصاباً بسعادة غزيرة من النادر أن تتابني، ورأيتني أكتب عنوان ورقتي قبل كتابة منّيها [ثلاثية الجبرياء والكيمياء والخيمياء عند موسى الناظر].

أولاً: موسى الناظر والجبرياء

فالجبرياء هي القوة مشتقة من الجبروت في معناها الظاهر، لكنها ليست قوة عضلية جسمانية ميكانيكية، إنما هي قوة نفسية بناءة إيجابية منذورة للعباء والمثابرة والتسامي وإيثار الآخر، من خلال مشاعر قوية من الانتماء للإنسان والعلم

(1) أستاذ الأدب والنقد الحديث، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن.

والوطن دون انتظار مقابل من شكران أو ترقية أو نزوع لمنصب أو مكاسب فردية اجتماعية أو سالبة.

وقد رأيت ملامح الجبرياء موفورة في تجربة موسى الناظر، ومن أمثلة ذلك:

1. جهوده العظيمة في تأسيس قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية وهي جهود متصلة و مترابطة مع فعاليات تأسيس الجامعة نفسها، عبر التفاني والإخلاص لأنه كما يقول (رغب في أن يحظى بلذة الإنشاء والبناء وإيجاد ما لم يكن موجودًا بشكل ومستوى ونوعية تتفق مع فناعاته وما تعلمه في جامعات عريقة).
2. غيرته الوطنية والعلمية على الجامعة حينما التحق بها بعزيمة هائلة ليفضلها على عدد من الجامعات العربية والعالمية التي حاولت استقطابه لها فرفض.
3. اعترافه بجهود الآخرين من زملائه في نفس سامية متزنة تعترف بالعمل الجمعي وتوازره دونما نزعة للتفرد والأناية كقوله (إن ما لمسته من تفران وإخلاص وعطاء وإمكانيات إنسانية لدى زملائي الذين سبقوني في هذه الجامعة حفّزني لأن أرتبط بهم).
4. نظرته الودادية إلى الجامعة الأردنية على أنها وطن عاش فيها شبابه وتربّى فيه أبناؤه وقضى فيه حاضر شيخوخته.
5. تبجيله لأساتذته وزملائه.
6. نشره مجموعة كبيرة من المواعظ الإرشادية الحكيمة في مجال الدراسة الجامعية كحديثه عن أهمية البحث والاكتشاف في مرحلة البكالوريوس، وهو القائل:

- عليك أن تقنع من لا يسهل إقناعهم بجدوى إنجازك حيث الجديد والمثير هو المحسوب.
- نجاح الدراسات العليا مرتبط بالعلاقة الناجحة بين الطالب والمشرف وليس بالتشريعات والخطط الدراسية.

ثانيًا: موسى الناظر والكيمياء

لقد تخصص في المجال الذي يحبه، فكان صادقًا مع نفسه حين رفض تخصص التربية في الجامعة الأميركية واختار العلوم الذي أفضى به إلى الكيمياء. أما لماذا اختار الكيمياء، فذلك يعود - كما يقول - إلى نزعة التقصي والملاحظة عنده (كنت أقضي ساعات نهاري أيام العطلة الصيفية سارحًا في الجبل أحفر في التراب وما بين الصخور أبحث عن أشياء لافتة للنظر، حجارة غريبة الشكل والتركيب، حشرات، ونباتات بريّة فجعلت أعلم نفسي الكيمياء بنفسي وأعود إلى المصادر)، فقد شغف بالكيمياء منذ طفولته ليمارس متعة الاكتشاف والتأمل حينما وجد أن الكيمياء شريك استراتيجي في مختلف التخصصات من طبية وهندسية وحياتية وبيئية وزراعية وجيولوجية، لأن الكيمياء موضوع ديناميكي غير مستقر، والمعرفة فيه تتوالد بتواعد سريع. لقد تحقق له ما أراد، صدقت عزمته فاتضح له السبيل وانصاعت لرغبته الظروف.

فشارك مشاركة فاعلة استثنائية في إنشاء قسم الكيمياء، ومضى في تدريس المادة التي يحبها وكان في الوقت نفسه نزعًا إلى التطوير والاكتشاف. فقدم ما يزيد على ثلاثين بحثًا علميًا عربيًا وعالميًا، وارتقى سلم الرتب العلمية التي كانت تنتظره، وألف الكتب العلمية المختلفة. وقدم الجديد المتميز فيما يخص الكيمياء العضوية المعتمدة على المركبات، ولا سيّما تلك التي يمكن أن تخدم الطبّ ومعالجة بعض الأمراض، ولها علاقة بالأدوية وعلم الصيدلة باعتماد على قانون التفاعلات القائم على الإزاحة والإحلال. وهو في ذلك يسير على منهج الكيميائي العربي الشهير

جابر بن حيان الذي طوّع الكيمياء لصالح الطب والفلسفة وعلم المعارف والفلك، ويتأسى كذلك بأبي بكر الرازي في جهوده المخبرية ولا سيما المتعلقة بتقسيم المعادن.

ثالثاً: موسى الناظر خيميائياً

الخيمياء هي الاسم الأقدم للكيمياء، وهي اتجاه قديم عند اليونانيين يقوم على تفسير الظواهر والمركبات على افتراضات روحانية، تتداخل بها الشعوذة والسحر والتأمل والتكهن، ولا تستند بالضرورة على براهين وحجج علمية واستنتاجات عقلية خالصة إلى أن تطورت منذ قرنين واستقلت بعلم الكيمياء.

فالعلاقة بين الخيمياء والكيمياء مستمرة. ذلك لأن العقل الخيميائي قد يصطدم بمشكلة ما في تفسير ظاهرة معينة، وعندما يعجز عن التفسير يراوده عقله إلى اللجوء إلى التفسير الخيميائي الذي يكون عبارة عن تهيوّات أو تخيلات روحانية أو سحرية تقدّم له حلاً أو إجابة. بمعنى أن الخيميائي يعرف أن تفسيره غير صادق وفق التفكير العلمي، لكنه صادق وفق التفكير الشعري وهذا ما أسميه [شعرية الكيمياء] لكأن الحقيقة هنا أكلدوبة نستريح لها فنسميها حقيقة.

ومثلما تعلمون كان أغلب العلماء القدماء ذوي معرفة متنوعة في تخصصات عدة، فكان العالم منهم عارفاً بعلوم متعددة في آن معاً كالرازي والكِندي والفارابي وابن النفيس في درايتهم العميقة بالطب والكيمياء والموسيقى والشعر والفلك والرياضيات وغير ذلك من العلوم.

أما الدكتور موسى الناظر فقد تحصل من الخيميائية على شفافية الفلسفة الجمالية الأدبية الحكيمة؛ فهو محبّ للشعر الذي نراه مثوّرًا في مقالاته وكتبه يستشهد به ويعزز من خلاله رؤيته وموقفه، وهو يصوغ كتاباته ببيان عربي جميل تظهر فيه ملكته الأدبية السريّة.

وهو منشئ أقوال مأثورة تحقق هدف الحكمة والموعظة والمثل السائر والقول الفلسفي التأملي المتأني عن خبرات عقلية وقلبية وحياتية معيشية. فلم يحل عقله الكيميائي دون تدخل خياله الوجداني. وهو بذلك مُصيب؛ لأن المعرفة تقوم في جوهريتها على الخيال، حتى قيل إن الخيال ولأد المعرفة هو الذي يستفزها ويحفزها ويقدم لها جرعات من الاقتراحات والافتراضات.

وهنا تلتقي الخيميائية بالكيميائية، بيد أن خيال الناظر خيال نافع على تماس مباشر بالواقع، وليس تخيلاً عبثياً أو تهويمات طائفة. ودليلنا على ذلك منظومة من مقولاته المضيئة التي تقع بين الأدب والفلسفة. ومن هذه المقولات:

- الحرية مولد الإبداع وحامي الفكر وسلّم الارتقاء.
- الجمال منبعه في الجسم والعقل، ومظهره في الخلق والسلوك، واللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي.
- الليل مولد النهار وباعث فن الحياة، فيه يوجّه المرء منظاره إلى داخله بعيداً عن مؤثرات النهار وضغوطاته.
- الوداع امتحان الحب.
- المرأة كالماء أعز مفقود. هي عنوان التضحية والجمال والوفاء، وكيف تكون الحياة دون أم وزوجة أو أخت وابنة.
- العلم بلا عمل لا يكون، والعمل بلا علم جنون.
- لا يأتي الغد من فراغ، ما نزرعه اليوم تقطف ثماره أجيال الغد.
- التحديات هائلة وعلى قدرها يجب أن تكون العدة.
- لعل في الذكرى متعة تفوق ما ولّدها الحدث في حينه.

فإذا تأملنا هذه العبارات فإننا واجدون بها براعة الإيجاز والاقتصاد اللغوي،

وعاثرون على عمق معنى وتنوع دلالة. كما نقف على تصريف لغوي وتشابيه وصور ومجازات ولمع فلسفية، وعلى تأملات جذابة يفهمها الخاصة والعامة. ومن هنا أصف الناظر بأنه مواطنٌ يجيد الانتماء للإنسان والأرض والجمال والعلم ويواجه نبض الحياة بشجاعة ومصداقية. يبدو أن تخصصه بعلم الكيمياء حفزه على الاشتباك بكيمياء التفاصيل الحياتية. فمثل هذه الأقوال والتأملات ما هي إلا نتائج تفاعل الوجدان مع الوجود، لأن الكون كله بجميع مكوناته وكائناته حالة شعرية كيميائية خيميائية معًا.

ولتوضيح ما أعنيه بتداخل الكيمياء العلمية مع الكيمياء الجمالية عند الناظر، نأخذ مثالاً على الماء. فجزء الماء يتكون كيميائياً من ذرة أو كسجين وذرتي هيدروجين (H_2O). والماء مركب غير عضوي يمثل ما يزيد على سبعين بالمئة من كوكبنا الأرضي.

لنتأمل كيف قارب الناظر الخيميائي بين كيمياء الماء وكيمياء المرأة يقول: المرأة كالماء أعز مفقود، كيف تكون الحياة دون أم وزوجة أو أخت وابنة. والماء أيضاً متنوع كالمرأة فهو سائل وصلب وغازي. فمثلما لا تكون حياة دون ماء لا تكون حياة دون المرأة. وبذلك أفاد الناظر من تركيب الماء وأشكاله وفاعليته ليسقط كل ذلك على كينونة المرأة التي تمثل أيضاً قرابة (70%) من البشر.

فالعقل الكيميائي لديه منسجم متناغم مع الوجدان الخيميائي الذي ينقل أسرار الكيمياء إلى أخلاق الإنسان. ولعل هذه الظاهرة الإبداعية تجلت خير تجل لها في موقف الناظر من الأزهار: السوسنة والنجسة وزهرة الصبار وأنواع أخرى من الزهور في كتابه على درب الزهور. فهو يعرض صورة الزهرة ثم يعلق عليها ويصف أخلاقها ويكشف نواياها الجميلة في رحلة انتصاره للجمال، وهو وصف مصوغ ببلاغة أدبية صافية تؤنس هذه الأزهار وتجعلها شريكة للإنسان في تأملاته الوجدانية. كما يتحدث عن تشكيل الزهرة ووظيفتها وما بين الشكل والوظيفة من

علاقات يكمل بعضها بعضًا، وهذه أمثلة من موقفه الخيميائي من الأزهار.

- الزهور لغة تواصل تزرع المحبة وتغذي النشوة، مفرداتها أشكال وألوان وعبور، حروف كلماتها مخطوطة بتناسق تعجز عنه يد أمهر فنان.

- ولجتُ الحديقة لأقطف بعضًا من أشعة الشمس من بين الغيوم، ونظرت إلى الأرض الطيبة فلمحت أزهار الـ (Daffodills) تدمع من عيونها قطرات من بقايا جادت بها السماء، تعاتبني بأنها أيضًا تستحق نظرة استمتاع من الأحبة والأصدقاء.

- الجمال في الكائنات مندبل حرير رقيق يمسح عن النفس ما ترسب من غبار، سرت على درب الزهور لتستقبلني زهرات التبولب بقلوب متفتحة تتطلع إلى السماء، ترصد أشعة الشمس لتبقيها متفتحة قبل أن يداهما الظلام، فتتضم وريقاتها حول قلب لتحميه بانتظار صباح مشمس.

- أزهار النسيم أيقونة الربيع على مدى القرون، قلادة ذهبية مرصعة باللؤلؤ والأحجار الكريمة من كل الألوان، قلادة تستريح على صدر ثرى رطب حنون، ترضع منه غذاء أو تنثر في جوها عطرًا.

ففي درب الزهور يقدم لنا الناظر معلومات تاريخية ووطنية عن الأزهار، لقد كان قارئًا جماليًا ذكيًا لأخلاق الأزهار وألوانها وتشكيلاتها حتى إنه كان يكشف نواياها بمعايير جمالية منفتحة. رأى الزهرة قصيدة كتبت نفسها بنفسها فقرأها بمزاجه الجمالي خارجًا عن حركتها البيولوجية إلى تأثيرها في النفوس، وإلى دلالاتها المتعددة التي تشارك في صناعة الإمتاع والبهجة والتفكير الفلسفي أحيانًا.

أما في نصوصه [على درب الحياة] فقد انتقل بنا إلى تأملات حكيمة في فن العيش وفي حب الوطن والأشجار وفي ذكاء التعامل مع الآخرين.

فيسترجع الجميل من ذكريات طفولته حيث شعاره: أحلام الطفولة لا تموت. هكذا لمع نجم موسى الناظر عالمًا بالكيمياء محفوفًا بالجبرياء مشغوفًا بالخيمياء، حيث الجمال والحرية والمحبة فجمع بين العقل العلمي والفؤاد الرومانسي السعيد.

بعيون أبنائه، الدكتور موسى الناظر مواقف وعبر

أ. فدوى الناظر⁽¹⁾

حضرات السيدات والسادة الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تعجز الكلمات عن التعبير عن مشاعر الحب والامتنان المحفورة في قلوبنا كأبناء للوالد الحبيب أبو زهدي. ولكن سأحاول اليوم أن استعرض وإياكم بعضاً مما عايشناه مع والدنا كأب عظيم يرافقنا في كل لحظة لا يباريه في ذلك أحد.

«سعادتي تكون عندما أستطيع إسعاد من حولي» هي عبارة يرددها الوالد دائماً، لا بل هي نهج حياته وهدفه في الحياة. إسعاد من حوله (صغاراً وكباراً) بتقديم المساعدة أو النصيحة أو حل مشكلة أو حتى بباقة أزهار أو ثمار طيبة من حديقته الجميلة. لا ينتظر من المرء أن يطلب المساعدة بل يبادر هو إلى تقديمها عندما يستشعر ذلك. يبحث عن مواطن القوة والموهبة في المرء ويسعى لتنميتها ويشد على يده ويشجعه لتحقيق أهدافه وأحلامه.

أيها الحضور الكرام، لا يحلو الصباح إلا بفنجان قهوة تفوح رائحتها في أرجاء المنزل معلنة بدء الاجتماع العائلي اليومي، تبادل فيه أحاديثنا وأخبارنا، ومن

(1) ناشطة في العمل التطوعي في مجال حقوق اللاجئين في ألمانيا، بكالوريوس صيدلة/الجامعة الأردنية.

ثم يطرح برنامج العمل اليومي. فيكون الوالد - حفظه الله - قد خطط لما يتوقع أن ينجز من أعمال في ذلك اليوم. لا يفصح تماماً عما يدور في ذهنه، وإنما يعطي أفكاراً وعلينا أن نفكر في الطريقة والوقت المناسب لإنجازها. ويسعد عندما ننجز ما طلب منا على أكمل وأتم وجه. فالأعمال المنقوصة وغير المتقنة هي أكثر ما يزعج الوالد. وكثيراً ما سمعنا منه بيت الشعر للمتنبى:

«ولم أر في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام».

في يوم من أيام الصيف كنا في الطريق إلى المطار، وعند نقطة التفتيش استوقفنا الضابط وقال للوالد مازحاً: «سلاحك»، فوضع الوالد يده على رأسه، فهز الضابط رأسه مبتسماً وحيّاً والدي. نعم، العلم هو السلاح الذي حرص الوالد على تزويدنا به منذ الصغر. يشجعنا ويتابعنا في كل المراحل الدراسية. علمنا أن سر النجاح يكون بالتخطيط المسبق وتنظيم الوقت واستغلاله. وأن استغلال الفرص المتاحة تفتح أمامنا أبواباً للمستقبل، ربما لا نعي أهميتها في الحاضر. وكما تابعتنا الوالد كأبناء فهو اليوم يتابع أحفاده، يشجعهم، يناقشهم، ويصغي إليهم ويسأل دائماً عن دراستهم وإنجازاتهم. يأتون إليه لطلب النصيحة، ويحضرون شهاداتهم ليعرضوها عليه فيسعدُ هو بذلك ويفرحون هم بالمكافأة.

إن التعليم بالنسبة للوالد ليس مقتصراً علينا كعائلة، فهو يسري في عروقه. عايشناه في البيت يُحضّر، يقرأ، ويصحح. يذهب إلى الجامعة باكراً حتى يبدأ المحاضرة قبل الموعد بربع ساعة (الثامنة إلا ربع). ويوم المختبر يعود متأخراً وقد علقت بملابسه رائحة المواد الكيميائية. كان يأخذنا معه إلى الجامعة نلعب في ساحات كلية العلوم، ونرسم على اللوح في مكتبه. أحببنا قسم الكيمياء كما أحبه. وفي الصيف الماضي اصطحب الأحفاد إلى الجامعة فأعاد في أنفسنا ذكريات جميلة.

أما علاقة الوالد بحديقته فهي مميزة. لا أستطيع وصفها، فهي علاقة والد

بطفلته، يحنو عليها ويعطيها كل ما تحتاج إليه من حب ورعاية. يراقبها وهي تنمو وتكبر ويفرح بها حين تثمر. أم هي علاقة عاشق بمعشوقته يتأمل جمالها ويغازل أزهارها الجميلة العطرة فتعطيها من الحب ما يسعده. لا بل هي مزيج من الاثنين معاً. أذكر مرة في يوم من أيام الشتاء وبينما الناس تتهافت على المخابز والمتاجر لشراء مستلزمات الثلجة، وإذا بالوالد ينادي: «يا أولاد، لازم نلف الليمونة علشان ما بتتحمل الثلج والبرد».

حب الوالد للأرض والذي هو أقوى من كل الروابط الكيميائية التي درّسها، لم يأت عبثاً. فلهوه وهو صغير في جبل الخليل بين كرومها يقلب حجارتها ويستكشف ذرات ترابها حفر هذا الحب في قلبه، وعمل جاهداً على زرعه في قلوبنا. أتذكر يا والدي حين كنا صغاراً نزور الأهل في فلسطين الحبيبة، كنت تصطحبنا في جولة في جبل الخليل حيث كنت تلهو. فبقايا العُرش (البيت الصيفي للعائلة) وأشجار التين والجوز وكروم العنب شاهدة على التاريخ. وعلى التلة تشرح لنا كيف كان يُحضّر «الدبس» من العنب كما تشرح تجربة المختبر لطلابك.

سأختم الحديث بموقف يخصني شخصياً مع الوالد، فقبل عقد ونصف من الزمن سنحت الفرصة لزوجي للانتقال للعمل في ألمانيا. طبعاً هذا يعني انقلاباً تاماً في حياة العائلة وبداية جديدة مجهولة. وكان خوفي وترددي من هذه الخطوة كبيراً جداً. فهاتف الوالد لاستشارته وشرحت له كل ما يجول في خاطري. وكنت كلما أضع عقبة كان يجد لها حلاً ويبدد مخاوفي حتى أنهيت حديثي، ثم قال لي: «فدوى هذه فرصة لكم كعائلة، انظري إلى المستقبل، خوضي التجربة واقبلي التحدي». هذا هو الوالد الناصح لنا ذو الرأي السديد، نجده بجانبنا كلما احتجناه.

والدنا الحبيب، إن سعادتنا نحن كأبناء هي بما نراه من حب وتقدير واحترام لك في عيون جميع من عرفك. وكم نشعر بفخر واعتزاز عندما نكون في مكان ونعرّف بأنفسنا فيأتي السؤال: «ابن أو ابنة الدكتور موسى الناظر؟ الوالد درّسني أو

عملت معه أو سمعت عنه». دمت لنا تاجاً فوق رؤوسنا نعتز به ونفتخر.

وللحضور الكرام كل الشكر والتقدير على حسن الاستماع..

ولمؤسسة عبد الحميد شومان خالص الشكر وكل الأمنيات بدوام التقدم

والازدهار..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة موسى الناظر

أ. د. موسى الناظر⁽¹⁾

الأخوة والأخوات الكرام

لكم أطيب التمنيات

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في المعتاد يتخرج المرء، في المناسبة الواحدة وفي الوقت الواحد والمكان الواحد، يتخرج في مدرسة واحدة، لا أكثر، أما أنا في هذا المكان المميز وفي هذا اليوم أراني أتخرج في مدرستين، أتخرج ولا أخرج، ففي التخرج ارتباط وانتماء وفيه مسؤولية وعهد وعقد.

أتخرج في مدرسة تلاميذي، طلابي من عشت مع أفواجهم وتعايشت، ومع كل فوج مساقاً جديداً تعلمت، فصوله إنسانية ومفرداته محبة ومودة، معاً أسسنا وبنينا، معاً عانينا وفرحنا، معاً واجهنا التحديات ونجحنا، هم بوصلة المسار، في أول يوم مع أول فوج رأيت في العيون بعض ما في القلوب. رأيت دعوة خالصة لأن

(1) دكتوراه (1964، كيمياء)، جامعة هارفرد/ الولايات المتحدة الأمريكية، مؤسس ورئيس قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية لعشر سنوات متتالية، حاصل على وسام الحسين للعطاء المميز من الدرجة الأولى، تم إطلاق اسم موسى الناظر على قاعة في قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، رئيس لجان إعداد مناهج العلوم وتطويرها للمدارس وكليات المجتمع والجامعات في المملكة الأردنية الهاشمية وفي عدد من الأقطار العربية.

أكون معهم، فتيقنت حينها أنني أحظى بأفضل عمل وأنسب مكان.

لهم جميعاً في هذا التكريم نصيب.

مدرستي الثانية، مؤسسة عبد الحميد شومان، مدرسة دراسات عليا، تزخر بأرقى التخصصات، في العلوم، في الآداب، في الفنون، في الفلسفة، في الحب وفي السعادة وفي كثير غيرها وفي كل ما يستجد ويبتكر. هي مدرسة فريدة في عالمنا، لا مثيل لها، نلتقي على منصتها بالنبخبة في هذه التخصصات، نستمع ونتفاعل ونتعلم.

الشكر والتقدير لمؤسسة شومان بكل هيئاتها وإداراتها ورؤسائها السابقين؛ ممن أتاحوا لي فرصة المشاركة في نشاطاتها بكل التقدير والمعزة، وخالص الشكر لرئيستها التنفيذية فلنتينا قسيسية رمز الإبداع ومديرته، ولفريقها النشط، ولكل من جهد وعمل في تنظيم هذا اللقاء.

خارج إطار هاتين المدرستين تطول القائمة وتمتلئ الجعبة بالمستحقين:

- أستذكر بكل فخر واعتزاز مؤسسة التربية والتعليم، إذ منحني بعثة دراسية إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، وضعتني بها على درب التعليم الجامعي، ولولاها لما حظيت بالوصول إلى هذا المكان في هذا اليوم.
- الشكر والتقدير إلى كل من علمني، طفلاً ويافعاً، فهم من شكّل صورة المعلم الذي لأكونه سعيتُ لجامعاتي التي فيها تعلمت.
- كل الشكر والتقدير إلى الجامعة الأمريكية في بيروت؛ والتي من نوافذها على العلم والعالم أطللت، والتي استضافتني لاحقاً أستاذاً زائراً في عديد المناسبات، أقيم باحثاً في مختبرات المميّز من أساتذتها، مختبرات أخي مخلوف حدادين رحمه الله.

- أستذكر جامعة هارفرد؛ التي في محيط علومها أبحرت، وبمنحتها الكريمة تمتعت.
 - حاضرة معي دائماً جامعتي الأردنية؛ التي منحتني متعة التحديات، وفيها توطنت وزرعت وحصدت ثروتي الإنسانية.
 - أستذكر دائماً، وخاصة في هذه الأيام، مسقط رأسي، خليل الرحمن، التي في أزقتها لهوت، وفي كروم عنبها وتينها سكنت، ومن نقاء هوائها انتعشت، وفي مدارسها تربيت، أدعو لها ولأخواتها من مدن الوطن المحتل ونجمتها غزة العزة بالتحرر، وللصامدين فيها بالنصر، ولشهادتها بالرحمة وحنان النعيم. ولأطفالها، من لم يعثروا فوق التراب على ميدان إنسانية ورحمة يستوعب لهو طفولتهم وحلم مستقبلهم، فلبسوا الأبيض، وتوارت أجسادهم عن الأنظار تحت التراب، وبقيت أرواحهم فوقه تقرع الضمير، لهؤلاء أهدي باسمي وباسمكم هذا التكريم لعل فيه بعض عزاء.
 - لأسرتي، وربتها وفية، لها الرحمة، وهي من كانت سعادتها يوم استضافتها طلبتي احتفاء بتخرجهم. ولعائلتي الكبيرة التي حظيت منها كل دعم ومساندة وحنان أيام حاجتي.
 - لكم جميعاً من تحدث وأكرمني بكلماته، ومن استمع وشرفني بحضوره، ومن أعد ونظم وأدار هذا اللقاء.
- لكم جميعاً خالص الشكر والمحبة.
- والسلام عليكم.

المحتويات

- المشاركون في الكتاب ورؤساء الجلسات 5
- تقديم: سيرة عالم زاهد أ. د. نبيل أيوب 7
- موسى الناظر كما عرفته أ. د. عدنان بدران 11
- الدكتور موسى الناظر الأكاديمي المتميز
والباني الذي لا يكَل ولا يمل أ. د. كامل العجلوني 15
- الدكتور موسى الناظر؛ العالم الباهر
والجار الساهر أ. د. م. منذر حدادين 29
- شهادة بالعالم الأستاذ موسى زهدي الناظر أ. د. علي مفلح محافظة 43
- العالم والباحث الإنسان موسى الناظر . أ. د. محمد عدنان البخيت 47
- الدكتور موسى الناظر؛ العالم الإنسان أ. د. سلطان أبو عرابي العدوان ... 53
- البروفيسور موسى الناظر: الإنسان أ. د. رنا الدجاني 65
- المُعلِّم الإنسان أ. د. سليم سعيد صبري 73
- نور التعليم: تأثير الأستاذ الدكتور موسى الناظر
في بناء القادة وزرع الأمل أ. د. أمل العابودي 79
- بصمات د. الناظر في شخصيتي أ. تمارا الزمر 93

الباحث الإنسان: منهجه العلمي

وتفكيره الاستثنائي..... أ. اسراء خلف 105

موسى الناظر: من فلسفة العلم

إلى فلسفة التعليم..... أ. د. فتحي حسن ملكاوي..... 109

موسى الناظر والفلسفة أ. د. أحمد ماضي 121

موسى الناظر من مدرسة الحسين الثانوية

في الخليل إلى الجامعة الأردنية أ. د. محمد شاهين 125

الأستاذ والمعلم والموجه لنهج الحياة د. محمد بسام البيطار 131

رحلتنا مع الدكتور موسى الناظر د. حسين صالح علي 137

صون العلم، موسى الناظر عند

حسن النابلسي وأسرته أ. حكم النابلسي 155

ثلاثية الجبرياء والكيمياء والخيمياء

عند موسى الناظر أ. د. راشد عيسى 159

بعيون أبنائه، الدكتور موسى الناظر

مواقف وعبر أ. فدوى الناظر 167

كلمة موسى الناظر أ. د. موسى الناظر 171

موسى الناظر أكاديمياً وإنساناً

تخرج الدكتور موسى الناظر في أعرق جامعات العالم وأرقاها، ألا وهي جامعة هارفارد، في وقت كان خريجو هذه الجامعة ندرية في العالم العربي ولا سيما في الأردن. وقد انكب على التفرغ لبناء وتأسيس قسم الكيمياء في الجامعة الأردنية، وكلما سنحت له الفرص كان يمضيها في البحث العلمي من خلال الزيارات إلى الجامعة الأميركية في بيروت للقيام بأبحاث ذات قيمة مضافة في مجال الكيمياء العضوية الحيوية. فضلاً على أنه لم يكتثر بالكثير من العروض كي يتقلد أرفع المناصب الأكاديمية والإدارية في الجامعة الأردنية وفي الجامعات العربية المختلفة.

إن فهمه للكينونة البشرية بعرق انعكس على جميع مناحي حياته. فنجد فهمه حاضراً في التعاطي مع زملائه، ومع طالبته، ومع كل من حوله. وتعكس طبيعته الهادئة ثقة بالنفس وتعكس عشقه للطبيعة ولكل الأشياء الجميلة من حوله.



الأردن، عمان، وسط البلد، بناية 12، وبناية 34
ص. ب 7855 هاتف 4638688 00962 6
فاكس 4657445 00962 6 منشورات 2024



البنك العربي
ARAB BANK



مؤسسة عبد الحميد شومان
ABDUL HAMEED SHOMAN FOUNDATION
البنك العربي - ARAB BANK